

زكريا تامر

النمور في اليوم العاشر



دار الآداب

١٨٤١

١ - البداية

نفخ الشرطي في صفارته ، فبزغت توا شمس الصباح ،
واضاءت شوارع المدينة بنور اصفر كخشب مشنقة عجوز .
وعندئذ افاق الناس من نومهم آسفين عابسي
الوجوه .

٢ - السماء المفقودة

حط عصفوران على غصن شجرة من الاشجار المنتصبة
على جانبي احد الشوارع ، ولم يفردا مرحبين بشمس
الصباح انما تبادلا النظرات الوجلة الحائرة ، وقال احدهما
للاخر : « أين نظير ؟ » .

« - سماءنا احتلتها الطائرات » .

« - لم يبق لنا سوى سماء الاقفاص » .

« - سنفقد اجنحتنا » .

« - سننسى الفناء » .

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

شَمَوز (يوليو) ١٩٨١

وجدق العصفوران الى طائرة سوداء تعبر السماء
بسرعة خاطفة ثم تبادلا النظرات الوجلة ، وبدت لهما المدينة
فما شرها ذا انياب ، فابتلعا حبوبا ميتة ، ثم سقطا ميتين
على رصيف صلب من اسمنت .

٣ - الاسرى

يمشي رجلان عجوزان على رصيف شارع بخطا وثيدة،
ويتحدثان بكآبة :

- « - هذا الزمان آخر زمان » .
- « - الحال من سيء الى اسوأ » .
- « - حان وقت كتابة العريضة » .
- « - اي عريضة ؟ » .

- « - العريضة التي ينبغي رفعها الى الله عزوجل » .
- « - وماذا سنكتب في تلك العريضة ؟ » .

« - سنكتب ما يلي : نحن الموقعين ادناه نلتمس من سيد
الكون ان يرسل الينا جيشا من ملائكة مسلحا
باحداث الاسلحة على ان يقيم على حدود البلاد
ويقاتل الاعداء ولا يعاملنا كاسرى » .

- « - وماذا نفعل في حال عدم تنفيذ طلبنا ؟ » .
- « - نرفع عريضة ثانية نطلب فيها الموافقة على اعفائنا
من الصلوات الخمس » .

- « - واذا لم يوافق ؟ » .
- « - بل سيوافق ايضا على اعفائنا من الصوم . انه
رؤوف رحيم » .

٤ - النار

ثمة عدد من الاولاد مجتمعون في باحة المدرسة ،
يلعبون بحماسة لعبة جديدة .

- « - انا طرزان » .
- « - انا عنتر » .
- « - انا مليونير » .
- « - انا مخترع القنبلة الذرية » .
- « - انا شرطي » .
- « - انا مخترع الطائرات » .

فانقض الاولاد على مخترع الطائرات ، وراحوا
يصفعونه ويلكمونه ويركلونه بينما كان يصرخ معولا
مستغيثا .

٥ - رجال

« ... الحمد لله الذي خلقنا رجالا نركض ساعة الخطر
الى امام كالريح ، فننجو ولا نهلك .
والحمد لله الذي لم يخلقنا نساء تقعد في البيوت
فتحرقنا قنابل الاعداء وكأننا الجوارب العتيقة .
الحمد لله الذي لا يحمد سواه ... » .

٦ - الخطر

سئل فلان عما سيأتي به المستقبل ، فقال دونما
تردد : « سيهلك الكبار . سيهلك الصغار . ستهلك القطط
والطيور والازهار . ستحرق البيوت والكتب والرايات .
ستحرق مقاعد المدارس والصور التذكارية . سيمحو النابالم

الضحكات واللغة العربية والسنايل . ستهدم المستشفيات .
ستهدم المصانع . ستهدم الحدائق . ستسير النساء في
الشوارع دون ملاءات » .

ولما نشرت تلك النبوءة مفصلة في كتاب ، اتفق
المخلصون للوطن على استنكار ما سيحل بالمرأة ، وتنادوا
الى التضحية بالنفس والنفيس لدرء ذلك الخطر البشع .

٧ - الجنة

كان الرجال الموشكون على اداء الصلاة ، متحلقين بلهفة
حول شيخ المسجد ، وقد سأل احد الرجال الشيخ بصوت
متهدج : « اتوجد يا شيخنا طائرات في الجنة ؟ »
فقال الشيخ : « لا وجود للطائرات في الجنة ؟ »
فتشهد الرجال بارتياح ، وقالوا بفرح : « الحمد لله » .

٨ - خطبة

« .. والله ما كان سكوتنا على الاعداء عن ضعف انما
كان اباء وشعما وترفعنا وثقة بالنفس .
قالوا : تريد بترولكم . قلنا : خذوا بترولنا ، فنحن
احفاد حاتم الطائي . قالوا : اعلنوا حربا شعواء على الافكار
المستوردة . فقلنا : نحن اهل الكر والفر ، ونصبنا المشائق
وشيدنا السجون .

ارادوا الاستيلاء على مدينة ، فاعطيناهم مدنا ومدنا
كي نبرهن على اننا لا نبالي بهم ، فاذا كانوا يملكون
الطائرات والقنابل ، فنحن نملك الخلق القويم والمبادئ
السماوية ، وشتان بين ما يملكون وما نملك ، فنحسن

الاقوياء لاننا مسلحون بالروح والحق لا بالمادة الزائلة
والباطل الزهوق ... » .

٩ - وسام المنقذ

ظفرت اللغة العربية بارفع وسام في الوطن لمساهمتها
في تحويل هزيمة حربية الى نصر ، فهي اسمت الحرب
انسحابا ، واسمت الانسحاب صمودا ، واسمت الصمود
بطولة ، واسمت البطولة نصرا .

ولقد انتصرنا على الاعداء ، وسننتصر ايضا على
طابورهم الخامس الذي يتجاهل وحدة الطاقات القتالية
للغة العربية .

١٠ - لماذا ؟

سأل التلميذ معلمه : « ما الفارق بين الحيوان
والانسان ؟ » .

فقال المعلم للتلميذ : « الحيوان لا يتكلم والانسان
يتكلم » .

لم يكذب المعلم ، ونحن العاملين في الاذاعة والتلفزيون
والصحف خير من تكلم .

فالى خالق السموات والارض الذي منحنا الالسنه ،
نقدم الشكر والامتنان ، ففوائد الكلام لا تحصى ، ويوم
حاربنا الاعداء قام كلامنا بدور مشرف ، فجاب الاعداء
بشجاعة ، واسقط طائراتهم ودمر دباباتهم واباد جنودهم .

فلماذا حدث ما حدث وحلت بنا الهزيمة مع ان كلامنا
جاهد جهاد الابطال ؟

١١ - محو القراء

جاء المواطن سليمان القاسم ، فاكل جرائد زاخرة
بمقالات تمتدح نظام الحكم ، وتعدد محاسنه المتجلية في
محو الفقر .
ولما شبع ، شكر الله رازق العباد ، وآمن ايمانا عميقا
بما قالته الجرائد .

١٢ - برنامج اذاعي

مذيع : « ما اسمك يا اخ » .
شاب : « عبد المنعم الحلبي » .
مذيع : « متزوج ؟ » .
شاب : « عازب » .
مذيع : « ماذا تشتغل ؟ » .
شاب : « انا بلا عمل » .
مذيع : « ولماذا لا تعمل ؟ انت غني ام تكره العمل ؟ » .
شاب : « لست غنيا ولا اكره العمل . اني ابحث عن عمل
منذ سنوات » .
مذيع : « ما هي الامنية التي تتوق الى تحقيقها ؟ »
شاب : « ان اموت الآن » .
مذيع : « ايها الاعزاء المستمعون . لا ريب في ان الاخ
عبد المنعم الحلبي وطني غيور ، فهو كما تلاحظون حين
يتمنى الموت يرغب في معاقبة نفسه لانه لا يساهم في بناء
مجتمعنا المتطور السائر الى الامام » .

١٣ - الابناء

سال طفل صغير امه : « ما الفائدة من العينين ؟ » .

فتجههم وجه الام ، وقالت وهي تنظر الى طفلها بريية
وحذر : « العينان خلقتا لتنظرا باحترام وحب الى صور
زعماء البلاد » .

قال الطفل : « والاذنان ؟ »

قالت الام وقد تزايد خوفها : « الاذنان تسمعان الاوامر
الرسمية والخطب السياسية » .

قال الطفل : « واللسان ؟ » .

قالت الام : « اللسان لا فائدة له سوى المساعدة
على ابتلاع الطعام بعد ان تمضغه الاضراس والاسنان » .
فابتسم الطفل ابتسامة غامضة بينما كانت الام ترتعد
خاضعة لرعب قاس .

١٤ - البطل

طليعة تلفزيونية : « هل تسمح يا استاذ خالد بن الوليد
بان تشرح للاخوة المشاهدين كيف صرت بطلا شهيرا ؟ » .
خالد بن الوليد : « لقد صرت بطلا بفضل ملح اندروس
الفوار ، ففي كل صباح كنت اشرب كوب ماء بعد ان اذيب
فيه ماعقتين من ملح اندروس .. فملح اندروس كما يعلم
القاصي والداني ينشط الكبد وينظف الامعاء ويقوي الجسم
وينعش العقل » .

١٥ - الحب

« فتش كما تشاء يا سيدي الشرطي ، فامرأتي ليست
مطبعة تطبع المنشورات السياسية الهدامة ، وضحكها
ليست مؤامرة استعمارية ، ولا يمكن ان تفسر على انها نقد

مباشر لنظام الحكم خاصة واني قبل ان احبها ، سألتها عن رأيها بنظام الحكم السائد حاليا في البلاد ، فأجابت فوراً بأنها تحبه حبا جما ، وعندئذ فقط سمحت لقلبي بأن يعشق تلك المواطنة الواعية .

ولما قبلتها لأول مرة ارتعشنا معا مبتهجين وكأننا كنا نصفق ونهتف في مسيرة مؤيدة لكفاح الشعوب .

فهل تريد يا سيدي الشرطي اخلاصا للوطن اكثر من اخلاصنا؟! .

١٦ - الجريمة

انا مواطن لا اختلف عن غيري من المواطنين المعوزين ، ثيابي كثيابهم ، ومعدتي كمعدتهم ، واخاف كما يخافون . وعندما منحتني الدولة شرف العمل في مصنع تملكه ، لم ادرك قيمة ما منحت ، وطالبت بعد اشهر قليلة بزيادة اجري متجاهلا ما تتطلبه المعركة ضد الاعداء من اموال ، ومخالفا الاوامر الرسمية بوجوب التقشف ، ولم انتبه الى مدى الضرر الذي سينزل بالوطن اذا ما لبى طلبي ، فلو كنت قد حصلت على زيادة اجري ، فلسوف ينقص مال الدولة ، واذا نقص مال الدولة ، فسينقص ما يدفع ثمنا للويسكي وثياب النساء والسيارات والابنية ، واذا قل الويسكي وزعلت النساء وغدت السيارات والابنية غير فخمة ، فمن المؤكد تاريخيا وموضوعيا ان فرح المسؤولين عن البلاد سيتضاءل ، واذا تضاءل فرح المسؤولين فستصبح معنوياتهم خائرة ، وتصبح بياناتهم وتصريحاتهم وخطبهم قاترة مملة لا ترعب الاعداء .. ولذا فحين طالبت بزيادة اجري ، خدمت

الاعداء وشاركت في انجاس حربهم النفسية . اذن فلأعاقب شر عقاب .

ملاحظة : « هذا الوعي المبالغ الذي امتلكته لا علاقة له اليقظة بأقدي الى مخفر الشرطة ، اذ لم اسأل هناك الا عن اقتراحاتي الرامية الى تطوير الانتاج » .

١٧ - اولو الامر

اتكأ الشرطي بمرفقيه على سور النهر ، وصاح بصوت خشن صارم : « ايها النهر » .

« - من يناديني ؟ » .

« - انا الذي اناذك » .

« - من انت ؟ » .

« - انا شرطي » .

فارتجفت مياه النهر ، وازداد الشرطي قائلا : « اذا اردت الا تطرد وتحيا بقية عمرك في منفى ، فعليك ان تتعهد خطيا بعدم التدخل في الشؤون السياسية » .

« - ولكن الوطن وطني » .

قال الشرطي بلهجة جافة : « هل تريد ان تسجن ؟ » . فبادر النهر الى تنفيذ رغبة الشرطي ، معلنا الولاء والطاعة لاولي الامر .

١٨ - في سبيل وطن يسر السباح

الى من يهمه الامر :

نحن المخلوقات البشرية الرثة التي تقطن في الازقة الضيقة المظلمة ، نطالب بما يلي :

١ - ان يسمح لنا بالسير عراة توفيراً لثمن الثياب ، ولكي يتاح لاجسادنا الحصول على النور والهواء .
٢ - ان تقوم المستشفيات الحكومية مجاناً باستئصال معدنا التي تسبب لحياتنا اضطراباً لا مبرر وطنياً له .
٣ - ان تقطع رؤوسنا بعد ان ثبت لنا ان ما يجعل المواطن خائناً هو العين التي تبصر والاذن التي تسمع واللسان الذي يتكلم والعقل الذي يفكر والعقل الذي لا يفكر .

١٩ - اصفاد الموتى

يروى ان رجلاً عشق امرأة ، ولكنها آبت الزواج منه ، فقال لها متسانلاً بدهشة : « كيف ترفضين الزواج مني مع انك تقولين لي دائماً بانك تحبينني ؟ » .
قالت المرأة : « انا احبك ولكنك من اسرة لا تدفن الموتى من اجدادها ، فكيف تريد مني ان احيا معك في بيت غرفه مليئة بالجثث ؟ » .
ففكر الرجل هنيهات ثم قال : « انت محقة فالموتى لهم المقابر لا منازل الاحياء » .
وبادر الى حفر حفرة عميقة كي يدفن فيها جثث اجداده ، غير ان اشباح الاجداد والاعداء اوثقته بالاصفاد ودفنته في الحفرة التي سبق ان حفرها .
لم تبك المرأة ، انما شحذت سيف رجلها ، وانتظرت عودته دونما يأس كي يحارب الاجداد والاعداء .

٢٠ - الشموس والاقمار

الجبان الحي خير من الشجاع الميت ، فقبل اليد

القوية وادع في السر ان تكسر ، واذا اردت مطلباً من كلب فقل له : مولاي الكلب .

كن اول من يطيع وآخر من يعصي ، فلا راي لمن لا يطاع ، واذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، والقناعة كنز لا يفنى ، والحسود لا يسود ، قاستقم كما امرت واطع اولي الامر ، وكل من سار على الدرب وصل .

٢١ - الصغار يضحكون

شاهد الملك يوماً عدداً من الاولاد يلعبون في احد الحقول ويضحكون بمرح ، فسألهم : « لماذا تضحكون ؟ » .
قال احد الاولاد : « انا اضحك لان السماء زرقاء » .
وقال ولد ثان : « وانا اضحك لان الاشجار خضراء » .
وقال ولد ثالث : « وانا اضحك لان العصافير تطير » .
فنظر الملك الى السماء والعصافير والاشجار .
فألفاها لا تضحك ، فاقنع بان ضحكات الاولاد لا هدف لها سوى الهزء بهيبته الملكية ، فعاد الى قصره ، وأصدر أمراً بمنع اهل مملكته من الضحك ، فأطاع الناس الكبار السن ، وكفوا عن الضحك ، غير ان الاولاد الصغار لم يبالوا بأمر الملك وظلوا يضحكون لان الاشجار خضراء والسماء زرقاء والعصافير تطير .

٢٢ - الرشوة

عقد رجال الحارة اجتماعاً تحدثوا فيه عن امور الدين والدنيا ، فسارع رجل ذو لحية بيضاء يقول لهم بلهجة مؤنبية : « لم يهزمنا الاعداء في الحرب الا لاننا ابتعدنا عن

ديننا الحنيف ، واعلموا ان تلك الهزيمة عقاب وانذار ، عقاب لما ارتكبتم من ذنوب ، وانذار بمستقبل حافل بالويلات والكواث .

فصاح واحد من اهل الحارة : « ماذا نفعل ؟ ارشدنا » .
قال الرجل الملتحي : « عودوا الى دينكم نادمين تائبين طالبين الغفران وحسن الختام » .

قال رجل : « ولكننا نصلي ونصوم ولا نؤذي احدا ونذكر الله صباح مساء » .

قال الملتحي : « ما تفعلونه لا يكفي ، يجب ان تبنوا مسجدا تعلق فيه كلمة الله » .

« - ولكن بناء المسجد يكلف اموالا كثيرة ، ونحن فقراء » .

قال الملتحي بنزق : « الويل لكم ! اتعتذرون عن بناء المسجد متذرعين بحجج واهية ، بينما تنفقون ما تكسبون من اموال في سبيل حياة فانية ؟ بش المصير لمن فضل الحياة الدنيا على رضى الله » .

فنكس الرجال رؤوسهم خجلين .

وجاع اهل الحارة زمنا طويلا ، ولكنهم بنوا مسجدا له مثدنة تشبه رمحا غاضبا يوشك ان يندفع عبر الفضاء ليثقب طائرات الاعداء .

٢٣ - التحقيق

قال المحقق لطفل في المهد : « اياك والكذب . قل كل ما تعرف عن رفاقك » .

لم يجب الطفل ، فاستاء المحقق ، وقال للطفل بلهجة حائقة : « اتجرؤ على رفض الكلام ؟ » .

بكى الطفل ، فاستاء المحقق ، وامر باستدعاء رجاله ، فاقبلوا حالا حاملين السياط والليل الميت النجوم .

٢٤ - الوصية

كان الرجل الهرم الذي يحتضر ، يتحلق حوله العديد من ابنائه واحفاده الحزاني ، وقد تأمل بعينين مجهدتين وجوههم الصفراء وثيابهم المتهترئة ، وقال لهم بصوت خفيض مرتعش آسف : « ساموت دون ان اترك لكم ما ينفعكم » .

وهم بمتابعة كلامه ولكن اعياء حادا مباغتة داهمه وارغمه على السكوت ، فأغمض عينيه وهو يرتجف متلهفا الى ان يقول لابنائه واحفاده : « الحياة يا اولادي واحفادي غريبة ، فافعلوا كل ما هو سيء مشين ، عيشوا فسادا في الارض . لا تقولوا الصدق ولو كانت انشودة المشنقة تهم بحصد رؤوسكم . اكذبوا ، تملقوا الاثرياء وذوي المناصب ، تملقوا التافه والضحل والاجوف والمهرج فالمستقبل الوضاء لهم لا لغيرهم . صفقوا للوافد الجديد الصاعد واشتموا الراحل الآفل . اسكروا . لا تصلوا . لا تصوموا . لا تحسنوا الى احد . كونوا اليمين واليسار وكونوا الشرق والغرب . احتقروا الكتب قابتسامة مسؤول افضل من الف كتاب . حاربوا الضعيف المعوز ، وناموا اذلاء على اعتاب القسوي التقادر . امدحوا من لا يستحق المديح . صفقوا اعجابا بنياح الكلاب ، واقرعوا الطبول كي لا يسمع تفرييد البلابل » .

وخضع الهرم المحتضر لحقد عاصف ، فحاول ان يصرخ

معلنا ما يرغب في قوله ، ولكن الموت اقبل في تلك اللحظة ،
فصمت المحتضر مفعما بالمرارة والاسف .

٢٥ - النهاية

قال المعلم لتلاميذه الصغار : « السنة كما اخبرتكم
سابقا تتألف من اربعة فصول ، فما هي ؟ »
صاح التلاميذ : « الخريف » .
قال المعلم : « في الخريف تصفر اوراق الاشجار
وتحترق الارض وتغد الغيوم » .
جاء الخريف ، واصفرت اوراق الاشجار ، ثم تساقطت
لتغطي جثث من قتلوا في الحرب ولم يدفنوا في قبور .
صاح التلاميذ : « الشتاء » .
قال المعلم : « في الشتاء ، تهطل الامطار وتسري
التراب » .
جاء الشتاء ، فاذا حطام طائراتنا ورجالها الموتى
الابرياء بذور في التراب هطلت فوقها الامطار الغزيرة .
صاح التلاميذ : « الربيع » .
قال المعلم : « في الربيع يعم اللون الاخضر » .
جاء الربيع ، واكتست الارض بالعشب الاخضر
والازهار ، ولكن الامهات والمدن ظلت مرتدية ثياب الحداد .
صاح التلاميذ : « الصيف » .
قال المعلم : « الصيف موسم الحصاد » .
جاء الصيف ، ولكن الارض لن تنبت سنابل قمح ، انما
ستنبت طائرات جديدة ورجالا تواقين الى موت ثان .

٢٦ - النهاية

اغمد رجل نصل مديته حتى القبض في التراب بحركة
متشفية ثم الصق اذنيه بالارض ، وهنف بدهشة :
« الارض تبكي » .
ثم الصق اذنه بالارض ثانية ، وصاح بصوت مقل
بالفرح : « لقد ماتت » .
و حين الصق اذنه بالارض مرة ثالثة ، لم يسمع سوى
احذية الجنود تصك الارض برتابة .

قالت الام : « لن اضربك » .
قال محمد : « احلفي بالله » .
قالت الام : « اذا لم تأت فورا نهضت وضربتك حتى
تولول » .

دنا محمد من امه بخطى مترددة ، فجذبتة الام اليها .
ومسحت وجهه بقطعة القماش المبتلة بالماء الحار والصابون
ثم دفعتة عنها وهي تقول : « هيا اذهب واقرا دروسك » .
قال محمد بصوت محتج : « ولكن اليوم يوم عطلة » .
قالت الام : « اذن اقعد هادئا » .

وحاص محمد في الباحة ضجرا ، ثم دلف فجأة الى
المطبخ ، وغاب فيه لحظات ثم خرج منه ضاحك الوجه حاملا
صحنا نحاسيا وملعقة ، وراح يدق الملعقة على ظهر الصحن
وهو يصيح : « يا دايم وحد الصايم » .

فصرخت الام : « يا قرد .. يا عفريت .. » .

فقاطعها محمد قائلا : « أنا مسحراتي » .

قالت الام : « هيا اخرج من البيت » .

قال محمد بلهجة متحدية : « واذا لم اخرج ، ماذا
ستفعلين ؟ هل ستضربيني ؟ » .

وتقدم نحوها وهو يضيف قائلا : « اضربيني » .

قالت الام : « لن اضربك . الله سيضربك . اسمع .
اذا لم تخرج الى الحارة فسأظل اولول حتى يأتي الجيران
فاقول لهم اني جننت وأنت السبب » .

قال محمد : « وماذا أفعل في الحارة ؟ » .

قالت الام : « العب هناك كما يلعب غيرك من الاولاد » .
وغادر محمد البيت ، ومشى في الحارة ، مقطب

يوسف .. يوسف الصغير الجميل الهالك

أمسك محمد بيده اليسرى بعراة مستديرة ، ثم رسم
بقطعة فحم شاربين على شفته العليا ، فأبصرت امه ما فعل ،
وكانت جالسة في باحة البيت على كرسي خشبي واطىء
وامامها طبق كبير مليء بالثياب والماء الحار ورغوة الصابون ،
فصاحت بنزق : « ماذا تفعل ؟ » .

قال محمد : « صرت رجلا كبيرا » .

قالت الام : « الله لا يكبرك . وسخت وجهك . هيا
اغسله » .

فقصد محمد بحرة الباحة ، ومسح وجهه بالماء ،
فصار وجهه اسود ، فأطلقت الام صرخة غاضبة ، وغمست
بحركة مفتاظة قطعة قماش بالماء ، وقالت لمحمد آمرة :
« تعال » .

ظل محمد متجمدا في مكانه ، فأضافت الام قائلة :
« ألم تسمع يا قرد ؟! » .

قال محمد : « ستضربيني » .

الجيين ، محمقا الى الارض ، واضعا يديه في جيبى بنطاله ،
وسمع بفتة صوتا يناديه : « محمد » .

فالتفت نحو مصدر الصوت ، فألقى ولدا أسمر الوجه ،
يقف قبالة حائط أبيض ، ممسكا بيده قطعة فحم . فقال
محمد وهو يدنو منه : « سليم يا مجنون .. ماذا تفعل ؟ » .
قال سليم : « سأرسم حمارا » .

قال محمد : « ارسم على حائط آخر » .
قال سليم : « هذا الحائط هو الحائط الابيض الوحيد
في حارتنا » .

قال محمد : « اذا رسمت عليه فسينتفون شعرك
شعرة شعرة » .
فضرب سليم بيده على ايتيه وقال : « لينتفوا شعر
هذه » .

قال محمد : « استح » .

في تلك اللحظة فتح باب البيت ذي الحائط الابيض
وخرج منه ولد وسيم الوجه ، ممشط الشعر ، أنيق
الثياب ، وما أن أبصر محمدا وسليما حتى اقترب منهما ،
وقال لهما متسائلا بعداء : « ماذا تفعلان هنا ؟ » .

قال محمد بلهجة ساخرة : « أهلا عدنان بك » .
وقال سليم : « كنا نريد أن نبول على حائطكم ، ولكننا
الآن غيرنا رأينا وسنبول عليك » .

فاحمر وجه عدنان ، وقال : « سأخبر أبي بما قلت
فيضربك أبوك » .

قال سليم وهو يهمّ بالهجوم على عدنان : « سأضربك
واضرب عائلتك » .

فأمسك محمد بسليم وهو يقول : « ضرب البنسات
عيب »

فضحك سليم ، وقال لعدنان : « قل لي .. أنت صبي
أم بنت ؟! » .

فوضع محمد يده على كتف سليم ، وقال له : « أتركه
ولنذهب » .

وهمّ محمد وسليم بالمسير . قال عدنان لهما بفضول :
« الى أين ذاهبان ؟ » .

قال سليم : « الى جهنم . لماذا تسأل ؟ » .

قال محمد : « لعله يريد الذهاب معنا » .

قال عدنان : « قولوا لي » .

قال سليم لمحمد : « قل له والا بكى » .

فكر محمد لحظات ثم قال : « سنذهب الى البساتين » .

قال سليم لعدنان : « ما رأيك ؟ هل ستذهب معنا ؟ » .

قال محمد : « يذهب معنا ؟! انه لا يجرؤ على المشي
معنا خطوة واحدة . ستضربه ألما . أبناء الاكابر يمشون
مع أبناء الاكابر » .

قال عدنان : « وماذا ستفعلان في البساتين ؟ » .

قال محمد : « سنلعب » .

قال سليم : « وسنسرق التفاح والمشمش » .

قال محمد : « وسنسبح في النهر ونصطاد سمكا » .

قال سليم : « وسنصطاد ضفادع » .

قال عدنان : « سأذهب معكما » .

فقال سليم لمحمد : « سمعت ما قاله ؟ قال انه يريد

الذهاب معنا ليسرق التفاح والمشمش مع ان الفواكه التي تدخل الى بيتهم كل يوم تكفي اهل الحارة جميعا .
قال عدنان بلهجة رجاء : « خذاني معكما » .
قال محمد لسليم : « ما رايك ؟ اناخذة معنا ؟ » .
فقطب سليم جبهته ثم قال : « سناخذة وأمرنا لله » .
واوشك محمد وسليم ان يسيرا ، ولكنهما توقفا لحظة تنبها الى ان عدنان ظل واقفا ، فقال له محمد متسائلا :
« ما بك يا ولد ؟ غيرت رايك ؟ » .
وقال سليم لمحمد : « اتركه . المامسا لا تسمح له بالابتعاد خطوتين عن باب البيت » .
قل عدنان : « لا .. لا .. سأذهب معكما ولكنني سأدخل أولا الى البيت ولن اغيب الا لحظات ، وسأقول لامي اني ذاهب لزيارة بيت عمي » .
قال سليم : « اذن سننتظر خارج الحارة عند باب الجامع » .
قال محمد : « انتبه . لن ننتظر كثيرا . اذا تأخرت فسندهب وحدنا » .
قال عدنان وهو يهرع نحو باب بيته : « لن اناخر » .
وسار سليم ومحمد مبتعدين عن الحارة ، ثم وقفنا قبالة باب المسجد .
قال محمد : « ان يأتي » .
قال سليم : « طظ عليه اذا أتى وطظ عليه اذا لم يأت » .
ولم يطل انتظارهما ، اذ جاء عدنان بعد وقت قصير

وهو يهرول لاهثا مبتهيج الوجه ، وقال : « لم اناخر » .
قال سليم : « امش امش . الحكي سيتعبك » .
وسار الاولاد الثلاثة بخطا خثيثة قاصدين البساتين المحيطة بالمدينة . ولما بلغوها ، اطلق سليم صيحة مديدة مرحة وركض وهو يقول : « من يستطيع امساكي ؟ » .
فركض محمد وعدنان ، وحاولا امساكه ، ولكنه كان سريع الركض بارعا في المراوغة ، وفجأة ارتدى على عشب أخضر ، وقال لاهثا : « تعبت واستسلمت » .
وارتدى محمد قربه بينما ظل عدنان واقفا ، فقال له سليم : « تعال . لماذا انت واقف ؟ » .
قال عدنان : « ستتوسخ ثيابي » .
قال محمد : « ولماذا الخسوف ؟ أمك لن تغسلها . ستغسلها خادمتكم وعندكم صابون كثير » .
وما ان هم عدنان بالاستلقاء على العشب حتى نهض سليم وأمسك بفصن شجرة مقطوع ملقى على الارض ، ولوح به كسيف ، وقال : « من يبارزني ؟ » .
فبادر محمد وعدنان الى البحث عن غصن ، فعثر محمد على ما يبغي ، وشرع يبارز سليم بحماسة ، وصاح عدنان وهو يشير الى شجرة : « هذه شجرة تفاح » .
فكفّ سليم ومحمد عن التبارز ، واتقيا الغصنين ، وهرعا الى شجرة التفاح ، وراحا يقفزان محاولين قطف التفاح ، فتعالت صيحة غاضبة أطلقها صاحب البستان الذي اقبل نحو الاولاد الثلاثة راكضا وملوحاً بعصاه مهددا .
صاح سليم : « اهربوا » .

وركض الاولاد بأقصى قوة . ولما ابتعدوا وقفوا لاهئين
محمرى الوجوه .

قال محمد : « لو أمسكنا لاشبعنا ضربا » .

قال عدنان : « لو ضربني فسأقول لابي فيأتي ويضربه » .

قال سليم : « كنا نسرق » .

قال عدنان : « ماما تقول ان السرقة عيب » .

فضحك سليم وعدنان ، ثم قال سليم وهو يتلمظ :
« ولكن التفاح للذيذ الطعم » .

فقال سليم لمحمد وهو يشير الى عدنان : « من يسمعه
يظن ان اهله يشترون التفاح من الصيدلية » .

ومشى محمد وسليم ، فتبعهما عدنان ، وبلغ الثلاثة
ضفة نهر ، واختاروا بقعة معشوشبة تظللها اغصان شجرة
هرمة .

وابتدا سليم بخلع ثيابه بسرعة ، فقال عدنان مستغربا :
« ماذا تفعل ؟ » .

— « سأسبح » .

وضحك عدنان فجأة ، وقال لمحمد وهو يشير الى
سليم : « انظر ، انظر الى قميصه » .

— « ما به ؟ » .

— « مهترىء ووسخ » .

فوجم محمد ، ثم بادر الى خلع ثيابه بحركات سريعة ،
فبدا قميصه الداخلي مرقعا باهت اللون .

وقال سليم لعدنان : « ولماذا لا تخلع ثيابك مثلنا ؟ هل
ستنزل الى النهر بثيابك ؟! » .

قال عدنان : « لا أريد النزول في النهر ، ماؤه وسخ » .
قال سليم : « أنت تكذب . أنت تحب النزول الى النهر
ولكنك خائف » .

ووثب سليم الى النهر ، وشرع يسبح وهو يصيح
صيحات قصيرة ، وتبعه محمد ، وطفق الاثنان يتراشقان
بالماء ضاحكين بصخب .

وصاح محمد مخاطبا عدنان : « تعال واسبح معنا » .
— « أنا لا أعرف السباحة » .

— « سنعلمك » .

قال سليم : « أنت بنت » .

قال محمد : « أنه دجاجة » .

قال سليم : « أنه يسبح في البانيو فقط » .

فاقترب عدنان من النهر ، فقال له محمد : « هيا
تشجع . لا تخف . لن يأكلك النهر » .
قال سليم : « لن تصير رجلا ما دمت تخاف من ماء
قلييل » .

وخرج محمد وسليم من النهر يقطر منهما الماء وراحا
ينطنطان .

وقال سليم لعدنان : « أما زلت خائفا ؟ » .

وقال محمد : « الامر بسيط . ارم بنفسك ثم حرك
ذراعيك ورجليك تجد نفسك تطفو وتسبح احسن منا .
انظر » .

ورمى محمد بنفسه الى ماء النهر ، وطفق يسبح ، ثم
غادر الماء ، وقال لعدنان : « أرايت ؟ هيا افعل كما قلت لك » .

قال سليم لمحمد : « أتركه . اني اقول لك انه بنت
فلا تصدق » .

وخلع عدنان ثيابه ، ودنا من النهر متوجسا ، فصفق
محمد وسليم ، وصاح محمد : « هيا يا بطل .. اربنا
شجاعتك » .

فقال سليم لمحمد : « اتراهن ؟ انه لن يجرؤ على غمس
أصابع قدميه في الماء » .

وفجأة قذف عدنان بجسده الى النهر ، وراح يضرب
الماء بيديه ورجليه بحركات جنونية ، ثم صاح بذعر : « اني
أغرق » .

فظل محمد وسليم يراقبانه وهما متجمدان في مكانهما
بينما كان عدنان يفوض تارة ويطفو تارة أخرى ، ولا يكف عن
الصياح مستنجدا ، وحمله ماء النهر بعيدا وهو يقاوم
ويولول .

وساد الصمت شيئا فشيئا ، وعندئذ ارتدى محمد
وسليم ثيابهما دون أن يتبادلا كلمة أو نظرة . ثم انحنى
سليم ، وحمل ثياب عدنان ، وقذف بها الى ماء النهر ،
ثم انطلق الاثنان يمشيان بوجهين واجمين وخطى ثابتة
مبتعدين عن النهر .

الزهرة

كانت يدا خشنة نحيلة مدفونة في التراب . وقد
تاقت الى الشمس والمطر وأتسماء الزرقاء والريح . فزحفت
بيضاء طوال اعوام متجهة الى أعلى . وتخضبت بدمها
النازف وعذبها طويلا ألم قاس ، لكنها لم تتخل عن محاولتها
حتى تمكنت من أن تنبثق من انتراب كانفجار صغير مباغت .
وترنحت نباتا شاحبا غريبا ، منتشية بالضوء والهواء
والاصوات ، متلهفة الى ما ينسبها ظلمة التراب ، وتلمست
اصابعها المرتعدة سطح الارض ، وتجمدت لحظة أمسكت
بزهرة ، وغمرها حنو عارم مبهم ، وعصف شوق في شرايينها
مناديا نهذا كن أجمل وردة بيضاء ، وامتزج النداء بصرخة
انطلقت يوما من حنجرة رجل تهاوى أرضا ملطخ الصدر
والفم بالدم .

وركض نداء اليد وصرخة الرجل في شوارع صاخبة ،
وفتشا البيوت بيتا بيتا ثم تلاشيا ذليلين .

فصاحت البنت بصوت رفيع حانق متحد : « هيا
جربني وستجد اني افضل من امي وستدفع لي اكثر مما
ستدفع لها » .

فارتعشت اليد الخشنة النحيلة ، وافلتت الزهرة ،
وانسحبت هاربة الى ظلمة التراب .

وتذكرت اليد الخشنة النحيلة المرأة التي تملك جسدا
من نجوم بيضاء دائمة الارتعاش .

وضحكت المرأة ، وهمست بمرح : « لنفعل ما نشاء
وليفعل اهلي ما يشاؤون » .

وضحك الرجل وقال : « سنعيش كما نريد ولن نبالي
بأحد » .

والتصق جسداهما عشباً اخضر ووردا احمر ونارا
ودماء ، ولكن السكاكين اقبلت . وحاول الرجل ان يحمي
جسده بيديه الخشنتين التحيلتين ، غير ان السكاكين
استمرت في مطاردته وطعنه حتى سقط كورقة شجرة
يابسة ، ودفن في بستان اخضر ، وفني اللحم الممزق الدامي
رويدا رويدا في التراب ، ولكن اليد الخشنة النحيلة العاشقة
بقيت حية .

ووهنت قوى اليد ، واوشكت اصابعها ان تفلت
الزهرة ، ولكنها تشبثت بها باصرار .

وجاء في تلك اللحظة خمسة رجال وبرفقتهم امرأة
وبنت لا يتجاوز عمرها العاشرة ، وقعدوا على بساط
بالقرب من اليد الخشنة النحيلة .

قالت المرأة متصنعة التذمر : « انتم خمسة . ماذا
سافعل بكم ؟ ستتعبونني كثيرا » .

قال رجل : « ماذا تقترحين ؟ » .

قالت المرأة : « ان تساعدني بنتي » .

قال الرجل : « لكنها صغيرة » .

في ليلة من الليالي

يجيء الليل كفنأ أسود ، فيبتعد أبو حسن بخطى هارب
عن حارته الخرساء ، وأزقتها الملتوية المظلمة ، وناسهسا
العجاف ، وبيوتها المثة المتلاصقة ، ومقهاها الذي يشبه
تابوتا مهترىء الخشب . وحين يبلغ الشوارع العريضة ،
تبهره ضوضاؤها وسياراتها المسرعة وناسها المتأنقون وانوارها
الساطعة المتعددة الالوان ، فيمشي بخطى ذاهلة متباطئة ،
مشدود القامة ، مرقوع الرأس ، ذا وجه متجعده ، شديد
الزهو بشاريه الكئين اللذين كانا يفريان عيوننا كثيرة
بالتحديق اليهما بفضول ودهشة . ايه ! انت أبو حسن .
ويحق لك ان تنال الاعجاب والاحترام . انت خير الرجال .
خنجرك البرق الذي يعقبه مطر من دم ، وقلبك فضة ،
ويدك من صخر الجبال . انت رجل لا كبقية الرجال . تفرح
فتصير بستانا اخضر . تغضب فيحمل الموت نعشا فارغا
وينتظر أشلاء فريسة . تحب فتخلص . لا تغش ولا تكذب .
لا تتملق ولا تنافق . الاعور اعور والاعمى أعمى . تضرب

فتدمي ولا تقتل . تعادي فيختفي من تعاديه . تصادق
فتهب حتى روحك لمن صادفته . عمرك اكثر من اربعين
سنة ولكنك حين تلتقي بجسد امرأة تبقى في دمها حتى
القبر . تشرب العرق وكأنه ماء ولا تسكر . تخوض
مشاجرات تسيل فيها الدماء وكأنك تدخن سيجارة على
ضفة نهر . يعلو صوتك الخشن بموال فتبكي الحجارة . انت
الرجل الذي يكن له الرجال والنساء والاطفال في حارته
المحبة والاجلال . اذا تشاجرت امرأة مع زوجها لا تقصد
بيت اهلها شاكية انما تلجأ اليك واثقة بأن ما لحق بها من
ظلم سيزول لا محالة . يحبك الاطفال ويصرخون مستنجدين
بك لحظة تضربهم امهاتهم . وقطط الحارة ساعة تجوع تأتي
اليك وهي تموء . واذا تخاصم صديقان فلا أحد غيرك
يستطيع بكلمة ان يوقد من جديد ما انطفأ في قلبيهما من ود .
والشاب اليتيم اذا رغب في الزواج من فتاة تصبح انت
عائلته . كنت دائما تنصر الضعيف المظلوم ، وتجابه القوي
الظالم غير هياب . ولم تعرف يوما أحنيت فيه رأسك
لهوان أو ذل .

ويبتسم أبو حسن ابتسامة مفتبطة متفاخرة بينما هو
مستمر في سيره المتمهل على أرصفة مكتظة برجال لا شوارب
كثة لهم ، وبنساء يمشين بخطوات واثقة شامخات الرؤوس ،
معطرات ، انيقات ، جميلات كدمى غالية الثمن . انظر يا أبو
حسن انظر . رجال كالنساء ونساء كالرجال . لا تعجب ولا
تستنكر . هذه هي سنة الحياة ، فلا شيء يبقى ويدوم ،
وكل زمان له رجاله ونساؤه .

ويلمح أبو حسن فتاتين في مستقبل العمر ، جميلتين
أكثر من زهرة ياسمين في الصباح ، وكانتا ترنوان السى
شاربيه الكثرين بنظرات مستغربة ، فيتزايد اعتداده بشاربيه،
وتلمسهما أصابع يده اليمنى بحركة مزهوة .

وتهامست الفتاتان ثم ضحكتا ضحكا ساخرا ، ففوجيء
أبو حسن ، وارتبك ، وحث خطاه مبتعدا عن الفتاتين ،
وسلك طريقا قرعية تضيئها مصابيح كهربائية ، شاحبة
النور ، متدلية من أعمدة خشبية تتناثر متباعدة . أنت ؟
أنت أبو حسن ويسخر منك فتستحي كبت ما بأس فمها
الا أمها ؟! آخ يا زمن . . أنت كلب يعض صاحبه .

وتناهى الى سمع أبو حسن أغنية آتية من إحدى
البنائيات من نافذة مفتوحة مضاءة ، فتوقف عن السير ،
واستند الى جذع شجرة ، وكان المغني أجش الصوت ،
وأغنيته مبهمه الكلمات ، غير ان صوته كان كصرخة مخنوقة
لطير فقد جناحيه بفتة وهوى في فراغ لا أرض له .

وتخيل أبو حسن الفتاتين وقد اختطفتا وترقصان
مرعوبتين عاريتين في غرفة يحتشد فيها عدد من رجال
ذوي شوارب كثة وأعين مفترسة ، ثم تذكر امرأة جميلة
من حارته ، وكانت تقول له : « تزوجني وساكون خادمك »
ولكن ولولة انبثقت ذات صباح من بيتها ، جللت الحسارة
وسكانها بلون أسود . ولم يمش أبو حسن وراء نعشها ،
انما اختبأ في غرفته ، ودفن وجهه في الوسادة ، ولم
يستطع أن يبكي ، ولكن صوته كأن يتصاعد بين الحين والحين

أجش مبجوحا أكثر حزنا من بكاء آلام التي فقدت ابنتها .
وتعالت صرخة استغاثة حادة من امرأة ، وأبصر أبو
حسن رجلا يركض باتجاهه ، تتبعه صيحات تقول انه لص
وتحث على امساكه .

ولما اقترب الرجل الهارب من أبو حسن ، حاول
امساكه ، ولكنه زاغ ببراعة ، وافلت منه ، واستأنف ركضه
السريع دون أن يبالي باسترداد ما سقط من يده .

وانحنى أبو حسن على الأرض ، وتناول ما سقط من
الهارب ، فاذا هو حقيبة يد نسائية ، فتأملها وهو يقول
لنفسه بسخرية : « ماذا سيحكي أهل حارتي أن أبصروا
أبو حسن يحمل ما تحمله النساء ؟! » .

وأقبل الذين كانوا يطاردون الرجل الهارب ، وبرفقتهم
شرطي بدين ، فقال لهم أبو حسن بلهجة اعتذار واسف :
« اللعين كان كالزئبق وهرب مني » .

فصاحت امرأة وهي تشير الى أبو حسن : « اقبضوا
عليه . هو اختطف حقيبتى ، وها هي بيده » .

قال أبو حسن : « عيب يا امرأة ! ما هذا الحكي ؟! » .
فانترعت المرأة الحقيبة من يده ، وصاحت : « انتبهوا .
سيهرب » .

فسارع الشرطي البدين وعدد من الرجال الى امساكه،
وقال له الشرطي : « هيا ، امش » .

قال أبو حسن متسائلا بدهشة : « الى أين ؟ » .
قال الشرطي : « الى أين ؟! السى المخفر طبعاً . اهلك
ظننت اننا سنأخذك الى كباريه ؟! » .

فحاول أبو حسن الكلام والاحتجاج ، ولكن شتائم كثيرة انهالت عليه ، فسكت ، وسار برفقة الشرطي يحيط به رجال ونساء وأطفال ، فيتكلمون بأصوات عالية ، ويشيرون اليه قائلين انه لص .

ولم يستمر السير طويلا ، اذ كان مخفر الشرطة قريبا . واقتيد أبو حسن توا الى غرفة رئيس المخفر الذي كان شابا ذا وجه أبيض وسيم حليق وعينين صارمتين واجميتين ، ويجلس وراء طاولة على سطحها جرائد وأوراق وتلفون .

وتقدم الشرطي من رئيس المخفر ، وشد قامته ، ورفع يده محييا ، ثم تكلم ملخصا ما جرى ، فقال أبو حسن مقاطعا : « كل ما يقوله غير صحيح » .

فقال رئيس المخفر لأبو حسن : « اخرج . لا تتكلم . تتكلم فقط عندما أمرك بالكلام » . وصاحت المرأة صاحبة الحقيبة : « هو اختطف حقيبتني من يدي وهرب » .

وتلتها أصوات عديدة تؤيدها ، ويضيف أصحابها قائلين : « كلنا رأيناه ولحقنا به حتى قبضنا عليه » .

وقال الشرطي : « ضبطته يا سيدي والحقيبة بيده » .

ظل رئيس المخفر صامتا ، ووجه الى أبو حسن نظرة طويلة متفحصة ثم قال له بازدراء : « تفضل .. جاء الآن دورك . هيا اسمعنا فصاحتك . ما لك ؟! هل ابتلعت لسانك يا لص ؟ » .

قال أبو حسن : « أنا لست لصا » . قال رئيس المخفر بحنق : « اذن من أنت ؟ لهلك شيخ جامع ولا ندري ؟! » . قال أبو حسن : « أنا رجل .. والرجل لا يسرق امرأة » .

فنهض رئيس المخفر عن كرسيه ، وترك طاولته ، ودنا من أبو حسن ، وقال له هازئا : « ما شاء الله ! أنت لص ، ولص وقح أيضا » .

قال أبو حسن : « أنا لم اختطف الحقيبة . رايتها تقع من سارقها فالتقطتها » .

قال رئيس المخفر : « اسمع . الانكار هنا لن ينفعك . من الافضل لك ولنا ان تعترف بما فعلت والا جعلتك تتمنى لو ان أمك لم تلدك » .

فأمسك أبو حسن بأصابع يده اليسرى أحد شاربيه ، وقال : « شاربي شارب امرأة اذا كنت اكذب » .

قال رئيس المخفر : « تفو عليك وعلى شواربك . لا وقت لدي للقليل والقال . تكلم والا كسرت رأسك » .

قال أبو حسن محمر الوجه : « لم يخلق بعد الشخص الذي يكسر رأس أبو حسن . اسأل عني أهل حارتي فتعرف من هو أبو حسن » .

قال رئيس المخفر وقد ازداد غيظا : « يا كلب .. اذا لم تعترف سأضربك بالحذاء وأضرب أهل حارتك » .

قال أبو حسن : « لا داعي الى التماذي في الكلام . كن رجلا ، والرجل يعرف قدر الرجال » .

فهز رئيس المخفر رأسه ، وقال بصوت حاول أن يكون هادئا : « انت بالتأكيد بحاجة الى تربية وتأديب ، وقد وقعت في يد من يتقن التعامل مع أمثالك » .

والتفت الى الشرطي البدين ، وقال له آمرا بخشونة : « اذهب كالبرق واحضر مقصا » .

قال الشرطي : « امرك سيدي » .

ثم غادر الغرفة بخطى سريعة . واتجه رئيس المخفر نحو طاولته ، وضغط باصبعه على زر جرس ثم وقف متصلب القامة مقطب الجبين حتى دخل الغرفة شرطي اصفر الوجه وقال بصوت جامد : « امر سيدي » .

فقال رئيس المخفر وهو يشير الى المرأة صاحبة الحقيبة والشهود : « خذهم وسجل اقوالهم » .

فنفذ امره توا ، وخوت الغرفة الا من رئيس المخفر وابو حسن ، وعندئذ قال ابو حسن بصوت متهدج : « انظر الي . هل يمكن أن اكون لصا يسرق امرأة ؟! » .

لم يجب رئيس المخفر انما ازداد وجهه صرامة وامسك بسماعة الهاتف ، ورفعها ، وأدناها من فمه ، وتكلم بصوت خفيض ، ثم أعادها الى مكانها ، واسترخى على كرسيه صامتا يحدق بهزاء ووعيد الى ابو حسن الذي كان يقف منفرج القدمين مضطربا حائرا .

وفتح باب الغرفة ، ودلف الى داخلها الشرطي البدين حاملا مقصا كبيرا ، ثم تبعه عدد من رجال الشرطة الذين نظروا توا الى ابو حسن نظرات كره واحتقار ، فنهض رئيس المخفر واقفا مبتهجا الوجه ، وتناول المقص من الشرطي

البدين ، ثم قال لرجال الشرطة وهو يشير بالمقص الى ابو حسن : « امسكوا بهذا الكلب » .

فصاح ابو حسن : « انا كلب يا نصف رجل ؟! خسئت »

وهجم على رئيس المخفر وهو يزعم بفضب ، غير ان رجال الشرطة امسكوا به ، فقاومهم محاولا الافلات من ايديهم ، فانهالت عليه صفعاتهم وركلاتهم ولكماتهم . كانوا يضربونه بشراسة وكراهية كأنه ذبح أمهاتهم ، وظلوا يضربونه حتى تلاشت مقاومته واستحال بين ايديهم الى جسم شبيه بقطعة قماش مهترئة ، وعندئذ قال رئيس المخفر لرجاله : « امسكوا به جيدا » .

وأضاف مخاطبا الشرطي البدين : « تحرك .. امسك برأسه ، وان تحرك اقل حركة وضعت رجلك في الفلقة » .

فسارع الشرطي البدين الى الامساك بشعر ابو حسن ، وشده الى الوراء شدا عنيفا ، فبات وجه ابو حسن فريسة عزلاء .

ابتسم رئيس المخفر ، واقترب من ابو حسن ويده تحمل المقص ، وقال له : « والآن ستدفع ثمن سبك وسترى ماذا يفعل نصف رجل » .

ودنا المقص من شاربى ابو حسن ، فذعر ، وحاول التملص من ايدي رجال الشرطة ، ولكن ايديهم كانت تقيده وتشله عن أي حركة ، فصاح بضراعة : « والله انا بريء » .

فازداد المقص دنوا من شاربى ابو حسن ، فصاح وقد طفى عليه رعب شديد : « دخليكم » .

قال رئيس المخفر : « قل انك سرقت فلا يمسك اذى » .

وران الصمت لحظة ، ثم قال أبو حسن بصوت مرتعش : « أنا سرقت الحقيبة من المرأة » .

فضحك رئيس المخفر ، وقال بأحتقار : « الى متى ستظل البلد تحوي أمثالك ؟! » .

وانقضّ المقص على شاربي أبو حسن ، وقضى عليهما بحركات متأنية متشفية ، بينما كان أبو حسن يصرخ صراخا مديدا أجش مبحوحا .

وخطأ رئيس المخفر نحو طاولته ، ورمى المقص على سطحها ، وقال لرجاله : « ماذا تفعلون ؟ يطربكم صوته ؟ اسكتوه » .

فبادروا الى ضرب أبو حسن ثانية ضربا قاسيا حتى ارغموه على السقوط أرضا ، ولكنه استمر يصرخ ويشتم ، فنزعوا حذاءه ، ورفعوا قدميه الى أعلى ، وهوت عصا رفيعة على باطن القدمين بضربات قصيرة متلاحقة ، فصاح أبو حسن : « سأذبحكم جميعا يا أولاد الزنا ولو بقي من عمري يوم واحد » .

قال رئيس المخفر بينما كان يعساود الجلوس وراء طاولته : « استمروا في ضربه حتى يسكت . أسكت . لا أريد سماع أي صوت منك » .

والقى أبو حسن نفسه بعد حين يضغط بأسنانه على شفته السفلى خائفا الصراخ المتوجع الذي يريد ان ينفجر خارج الفم المدمى .

وحينئذ قال رئيس المخفر لرجاله : « اتركوه » . ثم وجه الكلام الى أبو حسن : « هيا انهض وقف على قدميك » .

فأطاع أبو حسن ، ووقف بصعوبة مستجمعا كل ما بقي من قواه كي لا يتهاولى على الأرض ، فقال له رئيس المخفر : « هيا احمل حذاءك » .

فنفذ أبو حسن الامر وهو يثن أنينا خافتا ، ثم وقف مقوس الظهر وكل يد تحمل فردة حذاء .

قال له رئيس المخفر : « قل لي يا أبو حسن . . أنت رجل أم امرأة ؟! » .

لم يجب أبو حسن ، فقال رئيس المخفر بحدة : « انطق . ألم تسمع ما قلت ؟ أنت رجل أم امرأة ؟ » . قال أبو حسن : « أنا طبعا رجل » .

قال رئيس المخفر بصوت مرح : « كذبت . أنت امرأة . هيا تكلم وقل انك امرأة . سأغضب اذا لم تقل انك امرأة . وأنت صرت تعرف ما يحدث حين أغضب » .

قال أبو حسن بصوت خافت : « أنا . . امرأة » . قال رئيس المخفر : « لم أسمع بما قلت . تكلم بصوت عال . أنتظن أنك «وشوش حبيبتك ؟! » .

قال أبو حسن بصوت مرتفع وهو ينظر الى الأرض : « أنا امرأة » .

فقهقه رئيس المخفر ، وقال : « احمد ربك لاننا هنا لسنا من الشاذين جنسيا » .

فضج رجال الشرطة بالضحك ، فقال لهم رئيس المخفر

بلهجة امرأة مشمئزة : « خذوه ، وسأراه فيما بعد لاتابع
تربيته وتأديبه » .

فأنقض رجال الشرطة على أبو حسن ، وجروا به الى
خارج الغرفة وهم يركلونه ويصفعونه ويشتمونه ، واقتادوه
الى احدى الغرف ، ودفعوه اليها واقفلوا بابها . وكانت
غرفة تخلو من أي أثاث ، ولا نوافذ لها ، ويتدلى من سقفها
مصباح كهربائي ضعيف النور ، فتهاوى أبو حسن على
ارضها وهو يشن متوجعا .

وسمع فجأة صوتا رفيعا يقول له بنبرة متسائلة :
« ضربوك كثيرا ؟ لا تزعل .. الضرب تسليتهم الوحيدة » .

فرفع أبو حسن رأسه مستطلعا ، فرأى وكدا لا يتجاوز
عمره الثانية عشرة ، وكان قاعدا على الارض ، مسندا ظهره
الى الحائط ، فسأله أبو حسن باستغراب : « ماذا تفعل
هنا ؟ » .

اشار الولد بيده نحو الباب ، وقال : « هم قبضوا
علي » .

— « لاي سبب ؟ » .

— « لم افعل شيئا » .

— « قبضوا عليك دون أن تفعل شيئا ؟ » .

— « ذبحت أمي » .

فصاح أبو حسن مرتاعا : « الله يلعنك .. ماذا
قلت ؟ » .

— « ذبحت أمي . كانت تطهو طعاما لا تأكله حتى
الكلاب الجائعة » .

وضحك الولد بمرح ، وأشار الى باب الغرفة ، وقال :

« مساكين ! جنوا وهم يفتشون ولكنهم لم يعثروا على
السكين » .

وخيل لأبو حسن انه غارق في سبات عميق ويشاهد
حلما مرعبا ، ولاذ بالصمت ، وحدث السى الولد مذهولا
متناسيا الألم الذي يحرق عظمه ولحمه ، وكان الولد ذا وجه
اسمر وديع وشعر أسود طويل ناعم .

قال الولد : « أريد أن أنام » .

قال أبو حسن بصوت فظ . « نم . من يمنعك ؟ » .

قال الولد : « تعودت ألا أنام الا بعد أن تروي لي أمي
حكاية » .

قال أبو حسن : « اخرس ونم » .

قال الولد : « احك لي حكاية » .

فظل أبو حسن ساكنا يحلق واجما ، فقال له الولد :
« اذا حكيت لي حكاية فسأعطيك سكيانا تذيب مئة شخص » .

فبدت في عيني أبو حسن نظرة دهشة ، فسارع الولد
الى خلع فردة حذائه ، وأخرج منها سكيانا ذات نصل طويل
رفيع رقيق ملطخ بدم جاف ، ولوح بها قائلا : « ها هي ..
ظننت اني أكذب عليك ؟ » .

مد أبو حسن يده نحوه قائلا بلهجة امرأة : « هاتها » .

فأعطاه الولد السكين ، وما أن أمسك أبو حسن بها
حتى التفت أصابعه حول مقبضها بحركة ضارية .

واستلقى الولد على الارض ، وقال بصوت متوسل :
« هيا احك لي حكاية » .

ساد الصمت هنيهات ، ثم قال أبو حسن بصوت

رتيب : « كان في سالف العصر والايوان رجل اسمه مصطفى ، وكان فقيرا لا يملك من متاع الدنيا سوى شارييه . وفي يوم من الايام اصدر ملك البلاد امرا يقضي بأن يحلق كل الرجال في مملكته شواربهم ، فأطاع الجميع امر الملك ما عدا مصطفى الذي ابى التخلي عن شارييه ، فاعتقل ، وضرب وأهين وسجن ، ثم اخرج من السجن ليمثل بين يدي الملك وينال ما يستحق من جزاء .

سأل الملك مصطفى : « لماذا لم تطع امري وتحلق شارييك ؟ الا تعرف عقاب من يخالف امرا من اوامري ؟! » .

قال مصطفى للملك : « انا ملك يديك وتستطيع ان تفعل بي ما تشاء . انا ارحب بأن يقطع رأسي ولكني لن ارضى بأن احلق شاريي » .

ابتسم الملك بمكر ، وقال : « سأمنحك ألف دينار اذا حلقت شارييك » .

قال مصطفى : « لا » .

قال الملك : « لا تكن عنيدا متسرعا . اسمع . اريد اكثر ؟ حسنا . سأعطيك ألف ألف دينار » .

قال مصطفى : « كل ما في الدنيا من ذهب لا يساوي شعرة من شاريي رجل » .

قال الملك : « سأعينك وزيرا لي » .

فظل مصطفى مصرا على الرفض ، فقال الملك :

« سأعينك رئيسا لوؤرائي » .

قال مصطفى : « افضل ان اكون شحاذا . شحاذا

شاربين افضل من رئيس وزراء بلا شاربين » .

قال الملك : « سأجعلك شريكى .. تحكم مملكتي كما احكمها » .

فلم يتراجع مصطفى عن رفضه حلق شارييه ، فأطرق الملك برأسه وفكر ساعة ، وتكلم بعدها ، وقال لمصطفى : « انت فعلا رجل . وقد اثبت انك الرجل الوحيد في مملكتي ، فاحتفظ بشارييك وسأ كافئك خير مكافأة » .

وزوج الملك مصطفى من ابنته التي كانت اجمل امرأة في الدنيا .

وأحب مصطفى بنت الملك اشد الحب ، وعاش معها شهرا بسعادة وهناء ، حتى جاء يوم افاق فيه مصطفى من نومه صباحا فإذا بنت الملك عابسة الوجه مكتئبة ، فسألها مصطفى بلهفة عما بها ، فقالت له : « اتسأل وانت السبب ؟ »

قال لها مصطفى متعجبا مختارا : « انا ؟! لا عاش من يزعلك . قل لي مت فألبي رغبتك دون تردد » .

قالت بنت الملك : « انا متضايقة جدا من شارييك ، ولو تخلصت منهما فلا بد انك ستصير اجمل رجل وسأحبك أكثر » .

فاستنكر مصطفى كلامها ، وحاول اقناعها بخطاها قائلة ، ولكنها لم تفتنع ، وقالت له : « لن تبصر وجهي بعد اليوم الا اذا حلقت شارييك » .

ونفذت بنت الملك وعيدها ، وحبست نفسها في مخدعها ، واقفلت بابها من الداخل .

وتعذب مصطفى طويلا لما حرم من رؤية من يحب ، ولكنه صبر وتجلد الى ان جاء يوم ضعف فيه واستسلم لصوت قلبه فحلق شارييه ، وهرع الى مخدع بنت الملك ،

وقرعه باباه وهو يهتف : « آفتحي .. فعلت ما ترغبين فيه » .
وفتحت بنت الملك باب مخدعها . وما أن رأت مصطفى
حتى تراجعت الى الوراء وهي تضحك ضحكا متواصلا ،
فدنا مصطفى منها متلهفا اليها وحاول معانقتها ، ولكنها
قفزت مبتعدة عنه وهي تقول بجفاء : « اياك والاقتراب
منسي » .

قال مصطفى : « لماذا ؟ » .

قالت بنت الملك : « اذا اردت معرفة السبب فاذهب
الى المرأة وانظر فيها ، فقد صرت دون شاربين مثيرا
للضحك اكثر من اي مهرج في مملكة ابي ، وصرت ايضا
قبيحا الى حد ان كلبة عمرها مئة سنة لا تقبل بالنظر اليك
نظرة واحدة » .

لما سمع مصطفى كلام بنت الملك حزن حزنا شديدا ،
واستل خنجره وطعن به قلبه طعنة قوية وهو ينظر الى
بنت الملك نظرة وداع وحب ولوم .

وصاحت بنت الملك مستاءة بينما كان مصطفى يترنج
موشكا على السقوط أرضا : « ابتعد .. ابتعد عن سريري
لئلا تقع عليه فتتسخ اغطيته بدمك » .

وعندما علم الناس بموت مصطفى وما جرى له ،
حزنوا عليه كثيرا وبكوا ... » .

بتر أبو حسن كلامه ، ونظر الى الولد ، فألفاه متمددا
على الأرض ، مغمض العينين ، مستسلما بوداعة لنوم عميق ،
فازدادت أصابعه الملتفة حول مقبض السكين شراسة .

وزحفت السكين رويدا رويدا نحو الولد ، ثم توقفت
مرتجفة غاضبة ، حائرة بين قلب أبو حسن وعنق الولد .

الفندق

جاء أكرم الاسماعيل من مكان بعيد دونما حقيبة ،
ولما ترجل من السيارة السوداء اللون ووطىء الأرض تمطى
وهو يتنهد بارتياح مغمورا بشمس موشكة على الأفول .
ثم استنشق الهواء بنهم متطلعا فيما حوله ببهجة وفضول .
وسار بخطى متمهلة . وكان للسماء وقتئذ لون رمادي .
وكانت أحجار المباني باهتة البياض ، والناس يمشون
متجهمين صامتين . وحث أكرم خطاه لحظة بلغ شارعاً
تتناثر على جانبيه المقاهي والمطاعم ودور السينما والمحال
التجارية ، ولكنه ما أن أبصر أول فندق حتى داهمه تعب
مباغت ، فدأف توا الى داخل الفندق ، وأجال نظرة خاطفة
في ردهة واسعة معتمة تفوح من مقاعدها ومناضدها رائحة
عفنة ، فاشمأز وهم بالانسحاب ، غير انه لمح رجلا عجوزا
قابعا خلف مكتب خشبي ، وكان يحرق الى أكرم باستغراب
ممزوج بازدراء ، فوجد أكرم نفسه يقترب منه ويقول له :
« أريد غرفة » .

قال العجوز بصوت بلغ سمع أكرم شبيها برائحة
الردهة : « أتريد غرفة واحدة ؟ » .

- « نعم ، غرفة واحدة » .
- « غرفة سرير أم سريرين ؟ » .
- « غرفة سرير واحد » .
- « اذن تريد غرفة سرير واحد ؟ » .
- نعم . غرفة سرير واحد » .
- « هات هويتك » .

وظف العجوز يتمم بكلمات مبهمة بينما كان يسجل
اسم أكرم في دفتر كبير مفتوح أمامه ، ثم أعاد الهوية الى
أكرم ، وتناول مفتاحا معلقا على لوحة خشبية خلفه ، وصاح
بصوت ممطوط : « فؤاد » .

فتعالى صوت من احدى الغرف : « نعم » .
ومرت لحظات عاود العجوز بعدها الصراخ بغضب :

- « فؤاد يا كلب » .
- « نعم » .
- « تعال حالا » .

فأتى فتى أشقر الشعر لا يتجاوز عمره العاشرة ، ودنا
من العجوز محمر الوجه يلهث ، فرفع العجوز يده بحركة
فجائية ، واهوى بها على وجه الفتى ، ثم أعطاه المفتاح وقال
له وهو يشير الى أكرم : « خذه الى الغرفة رقم سبعة » .

وتبع أكرم الفتى في دهليز طويل على جانبيه أبواب
غرف كثيرة أثار عددها دهشة أكرم وعجبه .
وفتح الفتى احد الابواب ، قال لأكرم : « هذه غرفتك »
قال أكرم وهو يبتسم : « اسمك فؤاد ؟ » .

فهز الفتى رأسه بالاجاب ، ثم همس : « اقفل الباب
حين تريد النوم » .

قال أكرم متسائلا بدهشة : « لماذا ؟ » .
فتلفت فؤاد فيما حوله شاحب الوجه ، وقال : انهم
يأتون في الليل » .

« - من هم الذين يأتون في الليل ؟ »
فهم فؤاد بالجواب غير ان صوت العجوز تعالى في
تلك اللحظة مناديا ، فبدا الرعب الشديد على فؤاد وهروا
في الدهليز مبتعدا .

وتجمد وجه أكرم حين أصبح في الغرفة وتقوس ظهره ،
وبدا وكأن شبابه قدولى على حين غرة وسارع الى الاستلقاء
على السرير دون ان يحاول خلع ثيابه ، واغمض عينيه .
وخيل اليه بعد هنيهات انه يسمع فؤادا يصرخ بصوت مفعم
بالذعر والالام ، فقفز واقفا ، واتجه نحو باب الغرفة واراد
ان يفتحه ، ففوجيء به موصدا من الخارج ، فتصبب العرق
من جبينه ، وتراجع نحو السرير وجلس على حافته بينما
كان صراخ فؤاد يشتد ممترجا بصوت العجوز وصوت
امراة .

وتنبه أكرم الى ان الغرفة دون نوافذ ، وظل لحظات دون
حرك ثم خلع ثيابه واستلقى على السرير وهو يرتجف ، وغطى
جسمه كله باللحاف محاولا الا يسمع سوى صوت انفاسه
المتهدجة المتسارعة ، وما لبث ان استسلم لنوم عميق .

وافاق من نومه بغتة على صرير باب الغرفة ، فحاول
فتح عينيه والنهوض من السرير ، فأخفق وحاول ان يتكلم
ولكن شففيه تقلصتا دون صوت .

وانصت ، فبلغه وقع اقدام كثيرة على ارضية الغرفة،
ثم سمع صوت امرأة تصيح بذعر : « اتركوني » . فضحك
رجال مجهوتون ضحكات خشنة ساخرة بينما صاحت المرأة:
« ابعادوا ايديكم عني » .

وتعالت ضجة انبثقت منها صيحات المرأة متقطعة
مستفيضة ثم تلاشت رويدا رويدا ، ولم يبق سوى اللهات
المحموم وانين المرأة التي ظلت ترد : « ماما .. ماما .. » .

وأحس اكرم ان انين المرأة قد تحول الى نار تسللت
الى شرايينه ، فحدق بنشوة الى الرجال الذين كانوا عراة
يتعاقبون على جسد المرأة وكانت المرأة دميعة هرمة مستلقية
على ظهرها ، مفتوحة الفخذين ، لها نهذان مترهلان
يشبهان جوربين عتيقين ، فضحك اكرم بمرح ، وحاول
النهوض من السرير ، فعجز ، فند عن حنجرته صوت كهواء
ذئب جريح ، واغمض عينيه ، ليسمع بعد قليل رجالا
يقولون باصوات متوعدة :

« سنضربك »

« سنضربك حتى تموت » .

« سنضربك حتى تتمنى الموت » .

« اعترف »

وسمع اكرم صوت رجل يهتف بضراعة : « بماذا

اعترف ؟ »

فتعالت اصوات الرجال مهددة : « تكلم » .

« اعترف والا ندمت » .

« اعترف بجريمتك » .

قال الرجل متسائلا : « اي جريمة ؟! »

فتعالت صيحة أمرة من اكرم : « اضربوه » .

وضرب الرجل بقسوة بينما كان اكرم يصيح :
« اضربوه .. اضربوا » .

وفجأة ساد الصمت .

« مات » .

« ماذا سنفعل ؟ » .

« فلندفنه » .

« اين ؟ » .

« هنا في هذه الغرفة » .

فقهقه اكرم هازئا ، وقال : « هذا اقتراح غبي »

واهوى بالفأس على جثة الرجل الميت وقطعها الى قطع
صغيرة ثم حملها الى المرحاض ، وترك المياه تتدفق بعنف
وتحمل معها اللحم الممزق . وتزايد وهن اكرم ، وقال
لنفسه : « لم افعل ما فعلت . انا الآن نائم ، وما حدث
مجرد حلم مزعج » .

وسمع في تلك اللحظة ضحكة طفل اعقبها صوت رجل
متذمر يقول : « نم والا زعلت منك »

قال الطفل : « انا جائع » .

قال الرجل : انت اكلت لحم امك كله ولم يبق منه
شيء فقم دون قيل وقال » .

قال الطفل : لا استطيع النوم وانا جائع » .

قال الرجل : « هل ستنام اذا حكيت لك حكاية ؟ »

قال الطفل : « سأنام اذا حكيت لي حكاية » .

قال الرجل : « في يوم من الايام القديمة هربت بنت من

بيت اهلها ، فطاردها اخوها حتى عثر عليها فأرغمها على الذهاب معه الى بستان ، وهناك ذبحها وفصل رأسها عن جسمها .

فاستل اكرم سكينه ، وطعن بها فتاة جميلة الوجه ، سوداء الشعر ، فصاحت الفتاة : « قتلتنى » .

« ترك الاخ جسم اخته في البستان واخذ رأسها معه وعلقه على حائط الغرفة التي ينام فيها وكان في كل ليلة يقول للرأس قبل ان ينام : « ليلتك سعيدة يا اختي » . فيقول له رأس الاخت : « وليلتك سعيدة يا اخي . نم باكرا كي تفيق في الصباح قادرا على العمل » .

وساد الصمت قليلا ثم قال الرجل متسائلا : « هل عرفت مغزى هذه الحكاية ؟ » .

قال الطفل : « مفزاها ان النوم نافع للجسم » .
قال الرجل : « اذن هيا نم » .

ونام الطفل ، ونام اكرم . وعندما استفاق كانت شمس الصباح تغمره بنورها الاتي من نافذة مفتوحة ، فحمل اكرم الى النافذة مندهشا ، واتاه ضجيج الشارع كصوت اليف يناديه بحنان ، فترك سريره وهو يصفى لحنا مرحا ، وارتدى ثيابه بسرعة ، وغادر الغرفة ، وسار في الدهليز الموصل الى ردهة الفندق ، وهناك اكفى العجوز ما زال قابعا خلف مكتبه الخشبي . وحين اراد اكرم ان يدفع اجر مبيته ، قال له العجوز وهو يتسم بهزاء : « انسيه ؟ انت دفعت الاجر البارحة » .

قال اكرم : « غريب ! لا اذكر اني دفعت اي اجر » .

قال العجوز : « ذاكرتك ضعيفة بالتأكيد » .

ثم اضاف : « هل ستترك فندقنا ؟ » .

قال اكرم : « انا مضطر الى السفر اليوم » .

وغادر اكرم الفندق ، وسار بخطى واهنة متعثرة وكأنها الخطوات الاولى لطفل ، وكان بعد كل خطوة يزداد ثقة بانه عائد الى الفندق حاملا يقبل الليل .

الذمور في اليوم العاشر

رحلت الغابات بعيدا عن النمر السجين في قفص ، ولكنه لم يستطع نسيانها ، وحدث غاضبا الى رجال يتحلقون حول قفصه واعينهم تتأمله بفضول ودونما خوف ، وكان احدهم يتكلم بصوت هاديء ذي نبرة آمرة : « اذا اردتم حقا ان تتعلموا مهنتي ، مهنة الترويض ، عليكم الا تنسوا في اي لحظة ان معدة خصمكم هدفكم الاول ، وسترون انها مهنة صعبة وسهلة في آن واحد . انظروا الان الى هذا النمر . انه نمر شرس متعجرف ، شديد الفخر بحريته وقوته وبطشه ، ولكنه سيتغير ، ويصبح وديعا ولطيفا ومطيعا كطفـل صغير ، فراقبوا ما سيجري بين من يملك الطعام وبين لا يملكه ، وتعلموا » .

فبادر الرجال الى القول انهم سيكونون التلاميذ المخلصين لمهنة الترويض ، فابتسم المروض مبتهجا ، ثم خاطب النمر متسائلا بلهجة ساخرة : « كيف حال ضيفنا العزيز ؟ » .
قال النمر : « احضر لي ما آكله فقد حان وقت طعامي » .

فقال المروض بدهشة مصطنعة : « انا امرني وانت سجينني ؟ يا لك من نمر مضحك ! عليك ان تدرك انني الوحيد الذي يحق له هنا اصدار الاوامر » .
قال النمر : « لا احد يامر النمر » .
قال المروض : « ولكنك الان لست نمر . انت في الغابات نمر ، اما وقد صرت في القفص فانت الان مجرد عبد تمتثل للاوامر وتفعل ما اشاء » .
قال النمر بنزق : « لن اكون عبدا لاحد » .
قال المروض : « انت مرغم على اطاعتي لانني انا الذي املك الطعام » .
قال النمر : « لا اريد طعامك » .
قال المروض : « اذن جع كما تشاء ، فلن ارغمك على فعل ما لا ترغب فيه » .
واضاف مخاطبا تلاميذه : « سترون كيف سيتبدل فالراس المرفوع لا يشبع معدة جائعة » .
وجاع النمر ، وتذكر بأسى ايام كان ينطلق كريح دون قيود مطاردا قرائسه .
وفي اليوم الثاني ، احاط المروض وتلاميذه بقفص النمر ، وقال المروض : « الست جائعا ؟ انت بالتأكيد جائع جوعا يعذب ويؤلم . قل انك جائع فتحصل على ما تبغي من اللحم » .
ظل النمر ساكتا ، فقال المروض له : « افعل ما اقول ولا تكن احمق . اعترف بانك جائع فتشبع فورا » .
قال النمر : « انا جائع » .
فضحك المروض وقال لتلاميذه : « ها هو ذا قد سقط في فخ لن ينجو منه » .

واصدر اوامره ، فظفر النمر بلحم كثير .
وفي اليوم الثالث ، قال المروض للنمر : « اذا اردت
اليوم ان تنال طعاما ، نفذ ما سأطلب منك » .
قال النمر : « لن اطيعك » .
قال المروض : « لا تكن متسرعا فطلبي بسيط جدا .
انت الان تحوص في قفصك ، وحين اقول لك : قف ، فعليك
ان تقف » .
قال النمر لنفسه : « انه فعلا طلب تافه ولا يستحق
ان اكون عنيدا واجوع » .
وصاح المروض بلهجة قاسية آمرة : « قف » .
فتجمد النمر توا ، وقال المروض بصوت مرح :
« احسنت » .
فسرّ النمر ، واكل بنهم بينما كان المروض يقول
لتلاميذه « سيصبح بعد ايام نمرا من ورق » .
وفي اليوم الرابع ، قال النمر للمروض : « انا جائع
فاطلب مني ان اقف » .
فقال المروض لتلاميذه : « هاهو قد بدأ يحب اوامري »
ثم تابع موجهها كلامه الى النمر : « لن تأكل اليوم الا اذا
قلدت مواء القطط » .
فكظم النمر غيظه ، وقال لنفسه : « سأتسلى اذا قلدت
مواء القطط » .
وقلد مواء القطط فعبس المروض ، وقال باستنكار :
« تقليدك فاشل . هل تعد الزمجرة مواء » .
فقلد النمر ثانية مواء القطط ، ولكن المروض ظل متجهما
الوجه ، وقال بازدراء : « اسكت اسكت . تقليدك ما زال

فاشلا . سأتركك اليوم تتدرب على مواء القطط ، وغدا
سأمتحنك مفاذا نجحت اكلت ، اما اذا لم تنجح فلن تأكل » .
وابتعد المروض عن قفص النمر وهو يمشي بخطى
متباطئة ، وتبعه تلاميذه وهم يتهايمسون متضاحكين . ونادى
النمر الغابات بضراعة ، ولكنها كانت نائية .
وفي اليوم الخامس ، قال المروض للنمر : « هيا ، اذا
قلدت مواء القطط بنجاح نلت قطعة كبيرة من اللحم
الطازج » .
قلد النمر مواء القطط ، فصفق المروض ، وقال بغبطة:
« عظيم انت .. تموء كقط في شباط » .
ورمى اليه بقطعة كبيرة من اللحم .
وفي اليوم السادس ، ما ان اقترب المروض من النمر
حتى سارع النمر الى تقليد مواء القطط . ولكن المروض ظل
واجما مقطب الجبين ، فقال النمر « ها انا قد قلدت مواء
القطط » .
قال المروض : « قلد نهيق الحمار » .
قال النمر باستياء : « انا انمر الذي تخشاه حيوانات
الغابات ، اقلد الحمار ؟ سأموت ولن انفذ طلبك » .
فابتعد المروض عن قفص النمر دون ان يتفوه بكلمة .
وفي اليوم السابع ، اقبل المروض نحو قفص النمر
باسم الوجه وديعا ، وقال للنمر : « الا تريد ان تأكل ؟ »
قال النمر : « اريد ان آكل » .
قال المروض « اللحم الذي ستأكله له ثمن ، انهيق
كالحمار تحصل على الطعام » .
فحاول النمر ان يتذكر الغابات ، فاخفق ، واندفع ينهق

٥١ حدث في المدينة التي كانت نائمة

١ - المجنون

لما ترامى الى الملك بأن عالما شهيرا يدعى الحسن بن الهيثم يحيا في مملكته ، بادر الى استدعائه ، وكلفه بالاشراف على مدافئ قصره ، ومنحه راتبا شهريا سخيا وهو يقول : « البلاد التي لا تقدر علماءها محكوم عليها بالبقاء في ظلام الجبل وربقته » .

فكتب المؤرخون توا ما قاله الملك بمداد من ذهب . ثم جاء يوم تحلق فيه عدد من طلاب العلم حول الحسن ابن الهيثم ، ورجاه واحد منهم ان ينبئهم بما يستحق ان يضحى الانسان بحياته في سبيله .

فقال الحسن بن الهيثم دونما تردد : « لا شيء يستحق ان يضحى المرء بحياته في سبيله سوى العلم والحق » . ولما علم الملك بما قاله الحسن بن الهيثم ، غضب وقال : « أهكذا يتكلم من غمرناه بفضلنا ؟! » .

ثم اضاف متسائلا بتزق : « والملك ؟ الا يستحق ان يضحى الناس بأرواحهم في سبيله ؟! » .

مغمض العينين ، فقال المروض : « نهيقك ليس ناجحا ، ولكنني سأعطيك قطعة من اللحم اشفاقا عليك » .

وفي اليوم الثامن ، قال المروض للنمر : « سألقني مطلع خطبة ، وحين سأنتهي صفق اعجابا » . قال النمر : « سأصفق » .

فابتدأ المروض انقاء خطبته ، فقال : « ايها المواطنون . . سبق لنا في مناسبات عديدة ان اوضحنا موقفنا من كل القضايا المصيرية ، وهذا الموقف الحازم الصريح لن يتبدل مهما تأمرت القوى المعادية ، وبالايمان سننتصر » .

قال النمر : « لم افهم ما قلت » . قال المروض : « عليك ان تعجب بكل ما اقول وان تصفق اعجابا به » .

قال النمر : « سامحني . انا جاهل امي ، وكلامك رائع وسأصفق كما تبغي » .

وصفق النمر ، فقال المروض : « انا لاحب النفاق والمنافقين ، ستحرم اليوم من الطعام عقابا لك » .

وفي اليوم التاسع ، جاء المروض حاملا حزمة من الحشائش والقي بها للنمر وقال : « كل » .

قال النمر : « ما هذا ؟ انا من آكلي اللحوم » . قال المروض : « منذ اليوم لن تأكل سوى الحشائش » .

ولما اشتد جوع النمر ، حاول ان يأكل الحشائش ، فصدمه طعمها ، وابتعد عنها مشمئزا ، ولكنه عاد اليها ثانية ، وابتدأ يستسيغ طعمها رويدا رويدا .

وفي اليوم العاشر ، اختفى المروض وتلاميذه والنمر والقفص ، فصار النمر مواطنا ، والقفص مدينة .

وصمم الملك على اهلاك الحسن بن الهيثم ، ولكنه كظم غيظه ، وأخفى ما ينوي ، وأثر انتظار حلول الوقت الملائم .

وتنبه الحسن بن الهيثم الى الخطر الذي يهدده ، فسارع الى المثل بين يدي الملك ، وقال له : « لدي يا مولاي مفاجأة عظيمة ! » .

قال الملك بحبور مصطنع : « مفاجأة ! أنا احب المفاجآت ، فها تكلم عنها » .

قال الحسن بن الهيثم : « لقد اخترعت آلة لا مثيل لها » .

قال الملك بهزء خفي : « وما هي تلك الآلة .. الغريبة .. العجيبة ؟ » .

قال الحسن بن الهيثم : « انها فعلا آلة غريبة عجيبة . اذا وضعت فيها جملا تحول الى طير من معدن يطير افضل

من اي طير ، ولا يقارن ببساط الريح .. واذا وضعت فيها الرماح والسيوف تحولت الى دبابات وقنابل ، واذا ... » .

فقاطعه الملك قائلا : « وما هي الدبابات والقنابل ؟ » .

قال الحسن بن الهيثم : « انها آلات تهلك الاعداء وتدمر قلاعهم » .

قال الملك بصوت ساخر : « وماذا تستطيع آلتك ان تفعل ايضا ؟ » .

قال الحسن بن الهيثم : « اذا وضع فيها حصان تحول الى سيارة » .

قال الملك : « سيارة ؟! ما هي السيارة ؟ » .

قال الحسن بن الهيثم : « انها عربة من معدن تمشي

وحدها على اربعة دواليب من مطاط دون ان يجرها احد » . فقهقه الملك بمرح ، وقال لاعوانه وهو يشير بسبابته الى الحسن بن الهيثم : « جنّ المسكين جنونا لا شفاء منه » .

ثم تجهّم وجه الملك ، وتكلم بصوت صارم ، فعزل الحسن بن الهيثم من منصبه ، وأمر بحجزه في بيته حتى الموت .

ونفذ الامر الملكي ، وبقي الحسن بن الهيثم حبس بيته طوال سنين عديدة . وحين توفي الملك ، عسّاد الحسن بن الهيثم حرا ، فسرّ الناس ولكنهم فوجئوا بأنه ما زال يتكلم بحماسة عن آله الغريبة العجيبة ، فهزوا رؤوسهم آسفين .

٢ - الهرب

استسلم الرجل المصنوع من ورق عتيق لمخالب النمر القادم من الادغال المظلمة ، ثم نادى الكلمات بصوت متهدج متوسل ، وقال لها : « أعطيني خبزا » .

فأجابت الكلمات بأنها لا تملك خبزا ، عندئذ طلب من النجوم الاختباء ، وغادر البيت وهو يحمل حقيبة مملأة بالكتب ، وانطلق الى إحدى الاسواق ، وهناك باع الكتب ، واشترى بئسها خبزا وحبوبا منومة وقرنفلتين ، ثم عاد الى البيت بخطى مرحة ، ووقف امام المراة ، وهدق اليها بفضول ولهفة ، فأبصر رجلا ملطخا بالدماء ، والفي نفسه يخضع رويدا رويدا لصوت انبثق من شرايينه ، وحلق في سماء الفرفة بجناحين أسودين ، فأحنى رأسه بذل وابتلع الحبوب المنومة وهو يرمق الخبز والقرنفلتين بنظرة هزء وانتصار .

فصاحت احدي القرنفلتين : « ماذا فعلت ؟ صرت قاتلا » .

قال الرجل : « اخرجني والا رميت بك الى مزبلة » .

قالت القرنفلة : « تأدب . أنا لست قرنفلة » .

قال الرجل متسائلا بلهجة هازئة : « من أنت ؟! » .

قالت القرنفلة : « أنا شرطي متنكر » .

قال الرجل : « سأصدق ما تقولين يوم أجن » .

قالت القرنفلة : « كن مؤدبا والا سلخت جلدك وحشوته

قشما كما فعل أجدادي بأجدادك » .

فاغمض الرجل عينيه ، واجتاحه الاسى ، واستسلم للحبوب النومة التي حملته الى قاع سحيق مظلم ، وهناك صنع سبع ذبابات .

قالت الذبابة الاولى : « مت اليوم ما دمت ستموت

غدا » .

قالت الذبابة الثانية : « دموعك وحدها ستبلل قبرك »

قالت الذبابة الثالثة : « سفرك الى مملكة النجوم يحتاج

الى جواز سفر كن مثاله » .

قالت الذبابة الرابعة : « اذا هربت فمن قبر الى قبر

ستهرب » .

قالت الذبابة الخامسة : « سيكون كفك من ورق

اصفر » .

قالت الذبابة السادسة : « كن تمشي في جنازتك

سوى الكتب » .

قالت الذبابة السابعة : « اليوم يوم هلاكك » .

عندئذ رفع الرجل يدا غاضبة ، وأهوى بها على

الذبابات السبع ، فسحقها ، ثم عمل طوال ستة أيام ليصير في اليوم السابع الذبابة الثامنة ، فطار مبتهجا ، ودخل الى غرفة في مدرسة ، وارتجف نشوانا وهو ينصت لاصوات الاطفال الذين كانوا يقرأون بحب كلمات مكتوبة على لوح أسود ، ولكنه ما أن حط على سطح طاولة حتى اصطاده ولد صغير بحركة خاطفة من يده ، وسحقه توا بأصابعه ، فلم يصرخ مثالا انما تنهد بارتياح .

٣ - شجرة الاقمار الحمراء

اقتحم رجال غرباء حقلا تغطي اشجار البرتقال أرضه الخضراء ، وأطلقوا النار على المرأة ، وأبعدوا طفلها عن ثدييها الطافحين بالحليب الحار ، ثم نقلوه الى غرفة التحقيق المزدهمة بالخوذ الحديدية .

بكى الطفل ، فقال المحقق لرجل يجلس وراء طاولة تكس على سطحها ورق ابيض كثير ، وأصابعه تمسك القلم بحركة من يشهر مديّة : « سجل انه بكى نادما لانه عربي » .

ثم قال للطفل : « هيا تكلم ولا تحاول الكذب او الانكار فمن المؤكد انك عندما تكبر ستحمل السلاح وتقتلنا لتمتلك حقنا الذي كان حقلك » .

عندئذ صاحبت الخوذ الحديدية : « الموت للقاتل » .

فقال المحقق للطفل : « حكمت عليك المحكمة بالموت » .

وبادرت الخوذ الحديدية الى حفر جفرة في الحقل الذي تغطي اشجار البرتقال أرضه الخضراء ، ووضعت فيها الطفل ، وأهالت فوقه ترابا وحجارة ، فصاح : « ماما » .

فهرعت اليه الدماء النازفة من جسد أمه ..
ولما أقبل الربيع صار الطفل شجرة برتقال ، وكانت
ثمارها أقمارا حمراء تحرق ليلا نائي الفجر .

٤ - لا ..

كان الرجل الهرم يجلس في باحة البيت على كرسي
خشبي قصير القوائم مسندا ظهره الى حائط ابيض اللون .

وكان مغمض العينين مغمورا بضياء شمس دافئة ،
يتخيل انه قد صار ملكا تنحني له الرؤوس ، وترتجف
الأرض لحظة يفضب . ويتخيل قطا يسعل ويقول : « سأموت
لاني ادخن السجائر » . ويتخيل طفلا يحترق ويستنجد
صارخا : « ماما » ، فلا تأبه أمه له وتتابع عنايتها بزيتها
وهي واقفة امام مرآة كبيرة .

وفتح الهرم عينيه لحظة سمع باب البيت يفتح ،
وابصر أبناء السبعة يدخلون حاملين خشباً ومنشارا
ومطارق ، فقال لهم متسائلا : « ماذا تحملون ؟ » .

فلم يجب احد بكلمة ، ووضعوا ما يحملون على أرضية
باحة البيت ، وابتدأوا يعملون واجمين .

سألهم الهرم : « ماذا تصنعون ؟ » .
فقبل سؤاله بالصمت ، فتابع الكلام قائلا : « لا بد
انكم تصنعون صندوقا » .

وضحك ساخرا ثم قال : « ماذا تريدون أن تفعلوا
بالصندوق ؟ هل ستضعون فيه ثيابكم المهترئة ؟ » .
لم يجب الابناء ، وظلوا يعملون بسرعة .

قال الهرم : « عرفت ما تصنعون . انتم تصنعون خزانة
لحفظ الطعام . ما الفائدة من تلك الخزانة ما دامت الفئران
قد كفت منذ سنين عن القدوم الى بيتنا لعلها انها لن
تجد ما تأكل ؟! » .

ظل الابناء السبعة صامتين ، يعملون بوجوه متجهمة ،
فقال لهم الهرم بصوت حائق : « اللعنة عليكم ! ما هذا
السلوك ؟ ايخاطبكم ابوكم فلا تجيبون ؟ على الابناء احترام
الآباء . يا ضياع تعبى في تربيتكم . » .

وعاد الهرم الى اغماض عينيه ، وتخيل رجلا سكارى
يحتضرون على الارصفة ، وينتحبون ويقولون : « ما ابشع
حياتنا وختامها ! لم نصل . لم نصم . لم نحج . لم ندفع
زكاة » .

فيقول لهم صوت خشن أبج : « عشتم كالكلاب فموتوا
كالكلاب » .

وساد في باحة البيت صمت مباغت ، ففتح الهرم
عينيه ، فاذا أبناءه قد انتهوا من عملهم ، فصاح مدهوشا :
« ماذا صنعتكم ؟ صنعتم تابوتا ؟! من منكم ينوي أن يموت ؟ »
قال واحد من الاولاد : « التابوت لك » .

قال الهرم : « يا لك من ابن سمج ! تتكلم دائما كلام
مجانين . التابوت للموتى اما انا فما زلت حيا ومستعدا
للزواج من بنت عمرها خمس عشرة سنة » .

ودنا الابناء السبعة من الهرم بخطى بطيئة ووجوه
مقطبة ، فقال بلعبر : « ما بكم ؟ اجننتم ؟ ماذا تريدون أن
تفعلوا ؟ » .

وحاول المقاومة عندما حملته أبنائه ووضعوه في
التابوت ، ولكن أيديهم القوية سمّرتة في قاع التابوت ،
فانتحب وابتلت بالدموع لحيته الطويلة البيضاء ووجهه
المتجمد ، وقال : « أنتم مجانين » .
قال واحد من الأبناء بصوت هادئ : « آن لك أن
تموت » .

صرخ الهرم : « هل تعرفون ما تفعلون ؟ أنتم تقتلون
أباكم ؟ ماذا فعلت حتى أعامل هذه المعاملة ؟ » .
قال الابن الأول : « أنت علمتنا كيف نحني رؤوسنا » .
قال الابن الثاني : « وعلمتنا تقبيل اليد التي تصفعنا » .
قال الابن الثالث : « يخيفنا ثوب امرأة » .
قال الابن الرابع : « ونصبح جوارب عتيقة حين نشاهد
ركبة امرأة ! » .

قال الابن الخامس : « لقد علمتنا النوم أيام العاصفة » .
قال الابن السادس : « لا ماض لنا ولا حاضر ولا
مستقبل » .
قال الابن السابع : « ونحن لا نجرؤ على النظر إلى
السماء » .

فصاح الهرم : « ولكني لم أمت بعد » .
فلم يكثرث الأبناء بصرخته ، ودقوا المسامير في غطاء
التابوت ، ثم أحرقوا كل ما في البيت من قماش يصلح لأن
يكون راية بيضاء ، ثم حملوا التابوت إلى المقبرة .

السهرة

رحبت حارة السعدي برحيل شمس النهار ، فالليلة
يتصالح رجلان من أشرس رجالها ، فأبو شكور وأبو كاسم
قادران على أن يقتلا ويسيرا هادئين في جنازة القتيل .

ولما عمّ الظلام تجمع عدد كبير من رجال حارة السعدي
في أحد البيوت . وتكلم رجال كبار في السن كلاما منمقا
رصينا يحضّ على تناسي الأحقاد . ثم تصافح أبو شكور
وأبو كاسم وتعانقا وقبل كل منهما الآخر وسط التصفيق
والتهليل ، وجلسا متجاورين واحتسبا كؤوسا من العيرق
وهما يتبادلان كلمات المجاملة . وعندما سكرا بدا لهما كل
ما كان بينهما من خلاف لا أكثر من طيش أولاد .

ووضع أبو كاسم يده على كتف أبو شكور بحركة ودية ،
وقال له بصوت ذي نبرة صادقة : « والله يا أبو شكور
أنت سيد الرجال » .

فرد أبو شكور قائلا باستنكار وخجل : « أنا ؟! أعوذ
بالله ! من أكون إذا قورنت بالرجال ؟ » .

قال أبو كاسم : « ولو ؟! أنت رجل حارتنا . كلنا نذكر ما فعلت يوم هاجم حارتنا رجال حارة مرجان » .

فأشار أبو شكور بيده الى الرجال في الغرفة ، وقال : « ما فعلته يستطيع أي رجل أن يفعله . أما اذا قورنت بالرجال الرجال فمن أكون ؟ مجرد رضيع . أتذكرون أبي ؟ »

فتصاعدت من حوله أصوات تردد :

« رحمة الله عليه » .

« أسكنه الله فسيح جنانه » .

« الفاتحة .. » .

قال أبو شكور : « المرحوم كان رجلا لا يشبه غيره من الرجال ولا يمكن نسيانه . كان يحب السكر والغناء والنساء » .

فصاح واحد من الرجال بصوت ثمل : « وأنا أيضا والله أحب النساء » .

ضحك الرجال بمرح ، وتعالص صيحات يقول أصحابها انهم جميعا يحبون النساء مثل المرحوم .

قال أبو شكور : « كان المرحوم كما تذكرون يحب أيضا المشاجرات . يضرب ويختفي ولا يمسكه شرطي » .

فأيده الرجال مرددين كلمات الإعجاب بذلك الرجل ، ثم تحادثوا عن رجال ماتوا ، وكانوا قادرين في آن واحد أن يبكوا كأطفال وأن يقتلوا بهدوء من يشرب ماء .

واستمرت السهرة صاخبة مرحة حتى نفذ العرق والطعام ، وحينئذ تفرق الساهرون متبادلين التحيات .

وغادر أبو شكور البيت ، ومشى في حارته بخطوات

مترنحة متثاقلة دون أن يستطيع نسيان أبيه . وتذكر يوم كان صبيا صغيرا ورجع الى البيت باكيا لان اولاد الحارة اعتدوا عليه ، فضربه أبوه ضربا مؤلما ، وقال له : « البكاء للنساء لا للرجال » .

ولما شج أول مرة رأس ولد يكبره في السن ، كافاه أبوه بشراء حذاء جديد له .

واستمر أبو شكور في سيره المتمهل الثمل ، وتوقف لحظة شاهد رجلا يحمل عودا ويمشي مترنحا ، فاعترض طريقه قائلا له بلهجة مهددة أمره : « قف .. ولا .. » .

قال حامل العود بصوت خائف : « ها انذا وقفت . تأمر أبو شكور » .

قال أبو شكور متسائلا بجفاء : « أنت تعرفني ؟! أنا لا أعرفك فكيف تعرفني ؟! » .

قال حامل العود : « ألم تعرفني ؟ غنيت في سهرات كثيرة كنت فيها » .

فحملق أبو شكور الى حامل العود ثم قال : « تذكرتك . أنت .. أنت .. أف ! نسيت اسمك » .

قال حامل العود : « أنا أبو سمير » .

قال أبو شكور : « الآن تذكرتك .. أنت فعلا أبو سمير » .

— « نعم نعم .. أنا أبو سمير » .

— « أين كنت ؟ » .

— « في سهرة » .

— « كيف كانت ؟ » .

— « سهرة زفت . الاكل قليل والعرق مغشوش والشباب لا يعجبهم العجب » .
— « والى أين ذاهب الآن ؟ » .
— « الى البيت طبعاً » .

وارتفع في تلك اللحظة صوت المؤذن من مئذنة قريبة داعياً الى صلاة الفجر ، فنظر أبو شكور الى السماء ، وقال لأبو سمير : « مؤذن جاهل . يؤذن آذان الفجر بدلاً من آذان العشاء . الله يصلحنا » .

قال أبو سمير بصوت متملق : « آمين » .
فقطب أبو شكور جبينه مفكراً ، وحدق الى أبو سمير ثم قال له : « هيا اتبعني .. الى أين ؟ لا تسأل .. والا ... »
قال أبو سمير : « أمرك أبو شكور أمرك » .

وسلك أبو شكور زقاقاً ضيقاً سائراً بخطى قصيرة سريعة ، وتبعه أبو سمير مهرولاً ، حتى بلغا باب مقبرة الحارة ، وعندئذ صاح أبو شكور وهو يهم بالدخول الى المقبرة : « الحقني » .

قال أبو سمير : « ماذا تريد أن تفعل بي ؟ أنا رجل مسكين لا أوذي نملة » .

فالتفت اليه أبو شكور قائلاً بشراسة : « الحقني والا عدت اليك . أنت تعرفني وتعرف ماذا أفعل بمن يضايقني »
فبادر أبو سمير الى دخول المقبرة ، وتبع أبو شكور متعثر الخطى مرتجفاً ، يبسم بصوت مرتفع .

ومشى أبو شكور وسط القبور البيض ، ثم توقف عند واحد منها وجلس عليه ، وأشار الى قبر قبالة ، وقال : « اجلس هنا » .

فأطاعه أبو سمير ، وحاول الكلام ، ولكن أبو شكور قال له : « اخرس » .
وأشار بسبابته الى قبر بجواره ، وقال : هذا قبر أبي ، يرحمه الله .. هيا نقرأ الفاتحة ونهبها لروحه » .

وبسط راحتيه وراح يتلو الفاتحة ، بينما كان أبو سمير يضع العود على الأرض ، ثم يرقع راحتيه نحو وجهه ، ويحاول تلاوة الفاتحة ، ولكنه يكتشف أنه نسي كلماتها ، فيكتفي بتحريك شفتيه متصنعاً الخشوع .

ولما انتهى أبو شكور من تلاوة الفاتحة ، لمس وجهه براحتيه ، فسارع أبو سمير الى تقليده .

ومسح أبو شكور وجهه بمنديل من قماش ثم تمخط فيه ووضع في جيبه ، وقال وهو يشير الى قبر أبيه : « الوالد كان يحب الغناء والطرب . وأنا أريد الليلة أن أسمع ما حرم منه ويطرب قليلاً . هيا اعزف على عودك و ... » .

فظل أبو سمير متجمداً ، فقال أبو شكور بغضب : « ألم تسمع ما قلت ؟! هيا تحرك والا كسرت عودك على رأسك » .
قال أبو سمير وهو يرتعد : « أبو شكور .. دخيلك .. أنا والله ... » .

فقاطعه أبو شكور قائلاً بنزق : « أنا والله سأدفنك الليلة في قبر إذا لم تطعني وتفعل كل ما أريد » .

قال أبو سمير مدارياً : « تأمر أبو شكور .. لا تزعل .. أنا في خدمتك .. لا حول ولا قوة الا بالله » .

قال أبو شكور : « هيا اذن أسمع الوالد قليلاً من التقاسيم » .

فتناول ابو سمير عوده ، واحتضنه ، وامسكت اصابع
يده اليمنى بالريشة ، وضرب بها على الاوتار عدة ضربات ،
ثم تجمدت يده ، فقال ابو شكور : « لماذا توقفت ؟ » .
قال ابو سمير : « تريد الحقيقة ؟! أنا خائف .. ويدي
لا اسيطر عليها وترتجف غصبا عني » .
« - خائف ؟! الرجال لا يخافون وانت رجل . عيب
ان تخاف . اتخاف وانت مع ابو شكور . لا عاش الخوف » .
واخرج ابو شكور من جيبه زجاجة مليئة بالعرق
الممزوج بالماء ، ونزع سداتها ، وقدم الزجاجة الى ابو
سمير قائلاً : « خذ .. اشرب .. هذا عرق اصلي
سيجعلك لا تخشى عفاريت الارض كلها » .

فتناول ابو سمير الزجاجة ، ورفعها الى فمه ،
وجرع منها جرعة كبيرة ثم أعادها الى ابو شكور الذي
مسح فمها براحته ثم شرب منها ، وقال : « هيا ابدا
بالتقاسيم واسمع الوالد ما يفرح قلبه ، واجعله في قبره
يرضى عني ويقول : آه » .

وابتدا ابو سمير بالعزف على العود ، فهز ابو شكور
رأسه يمنة ويسرة معجبا ، وقال : « آه .. تسلم يدك ..
اكمل » .

فسر ابو سمير سرورا خفيا جعله يتناسى قليلا
خوفه واضطرابه ، وبات يعزف بثقة اكثر ، فصاح ابو
شكور : « يا عيني عليك يا .. الاسم الكريم ؟! » .
« - ابو سمير » .

« - لعنة الله على النسيان . ابو سمير .. ما رايتك
في موال ؟ »

« - تأمر ابو شكور » .

وعزف ابو سمير قليلا على العود ثم تعالى صوته
اجش ، وكان في البداية مرتبكا متهدجا ثم ما لبث ان
استعاد شيئا فشيئا هدوءه :

ياليلي ياليلي ياليلي يا عيني

فهتف ابو شكور بصوت ممطوط : « آه .. آه .. » .
ومد يده بزجاجة العرق الى ابو سمير الذي شرب
منها بنهم ، وارجعها الى ابو شكور وهو يقول : « تشكر
يا ابو شكور تشكر » .

ضحك ابو شكور ، وقال : « صحة ! هكذا يشرب
الرجال » .

وعاود ابو سمير غناء مواله :

يللي انكتب على الجبين لازم تشوفو العين

صاح ابو شكور : « صحيح والله صحيح . تابع ابو
سمير تابع » .

واحس ابو سمير بصدق اعجاب ابو شكور ، فانتشى
وتلاشى خوفه ، واستمر في الغناء بصوت خشن .

وعندما انتهى الموال ، صفق ابو شكور ، وقال :
« الله الله » . بلبل أنت يا ابو سمير » .

ضحك ابو سمير بفبطة ، وقال : « بلبل لكنه بلا
جناحين ويوشك ان يموت » .

فدفع ابو شكور زجاجة العرق الى ابو سمير ، وهو
يقول : « اشرب . كلنا سنموت . دنيا فانية . نحن اليوم
خارج القبر وغدا من يعلم ما يحل بنا ؟! قد نصير في
داخله . اشرب اشرب . حياة بنت كلب ! » .

ورفع أبو سمير زجاجة العرق الى اعلى بحركة قوية ،
وقال : « بصحة أبو شكور شيخ الرجال » .

قال أبو شكور : « تسلم يا . أبو سمير تسلم .
متزوج ؟ »

« - لا والله . . وحيد . لا زوجة ولا ولد . لا ام ولا اب » .

« - ولماذا لا تتزوج ؟ ! »

« - من المجنونة التي تقبل بالزواج من واحد مثلي ؟ !
الشحاذ افضل مني ، ولم يبق في رأسي شعرة واحدة
سوداء » .

فضحك أبو شكور ، وقال : « المهم يا أبو سمير ليس
الشعر الاسود . أنت سيد العارفين : النساء ملعونات ،
وتعرف طبعاً ما يرغبن فيه » .

هز أبو سمير رأسه وقال : « أعرف أعرف . ولكن
يا أبو شكور العين بصيرة واليد قصيرة » .

وضحك الاثنان ببهجة ثم قال أبو شكور : « اخي أبو
سمير . . لا تكن بخيلاً . هيا اسمعنا . . » .

ففكر أبو سمير لحظات بينما أصابعه تداعب أوتار
العود ثم قال بادي السرور : « وجدتها » .

وسعل ، ثم انساب صوته خافتاً ، يرافقه العود :

سبع آهات ممزوجة بلب الكلام

الاوله آه من فعلك معي يا شام

فعقد أبو شكور ذراعيه على صدره ، وأنصت عابس
الوجه .

والثانيه يا حيف ضيغت أيامي

فصاح أبو شكور مقاطعاً بصوت منتش : « يا حيف
يا أبو سمير يا حيف . . » .

شبه السحابه الريح يذريها
والثانيه يا حيف ضيغت أيامي
ودربي كحد السيف يا شام قدامي

وهز أبو شكور رأسه ، وقد استولى عليه الاكتئاب ،
وتجرع من زجاجات العرق جرعات متلاحقة ، بينما كان
أبو سمير يتابع الفناء :

يا خلجة المدبوح يا رعشة التلفان
مبنى سفينة نوح شولو سبب داعي

وصاح أبو شكور : « آخ يا أبو سمير . . هل تريد
أن تبكييني » .

فتوقف أبو سمير عن الفناء ، ومد يده نحو زجاجة
العرق ، ولكن أبو شكور طوح بها بعيداً لترطم بأحد القبور
وتتحطم ، وقال : « فرغت » .

وأخرج من جيبه زجاجة ثانية ، وقدمها إلى أبو سمير
بحركة متفاخرة قائلاً : « المؤونة موجهة ولله الحمد .
اشرب . لا شيء في الدنيا له قيمة . اشرب » .

فشرب أبو سمير من زجاجة العرق كمية كبيرة ، ثم
أعادها إلى أبو شكور الذي قال : « والآن الا تسمعنا اغنية
تفرح ، وتجعل القلب يرقص ؟ » .

قال أبو سمير بصوت متلجلج : « على عيني أبو شكور
على عيني » .

وعزف العود آحناً مرحاً ، وغنى أبو سمير بصوت ثمل :
هز التوته يا توات

توتك حلي يا توات

والتفت الى ابو شكور ، وقال له بلهجة معاتبة : « ما لك ساكتا ؟ هيا عن معي ابو شكور غن » .
هز التوتة يا توات
توتك حلي يا توات

ورافقه ابو شكور في الفناء ، واتحد الصوتان ، وتعاليا
مرحين ممطوطين .

وفجأة بلفت سمعهما صرخة غاضبة مستنكرة ، فالتفتا
نحو مصدر الصرخة ، فأبصرا الحارس الليلي هارعا نحوهما .

وما ان دنا الحارس الليلي منهما وشاهد ابو شكور حتى
قال بلهجة ودية : « صباح الخير عمي ابو شكور » .

قال ابو شكور مستغربا : « صباح الخير ؟! لماذا ؟
طلعت الشمس ؟! » .

قال الحارس : « ستطلع بعد قليل » .
فقال ابو شكور للحارس وهو يشير الى احد القبور :

« اجلس .. اجلس » .
قال الحارس معتذرا وحريصا على مراعاة ابو شكور :

« قد تأتي دورية الشرطة في أية لحظة .. » .
فقاطعه ابو شكور قائلا : « لن يأتي احد .. واذا أتت

دورية الشرطة فماذا سيحدث ؟! » .
قال الحارس : « سيخرب بيتي » .

فضحك ابو شكور وقال : « أعرف بيتك ، وان خرب
فستخلص منه وتستريح » .

قال الحارس : « قد أفصل من عملي » .

قال ابو شكور ساخرا : « أنت مجنون حين تخشى ان
تفقد عملا لا يشبعك لقمة الخبز » .

والتفت الى ابو سمير ، وقال له : « ما رأيك يا ابو
سمير ؟ احك » .

قال ابو سمير : « كلامك يا ابو شكور جواهر » .
فقال ابو شكور للحارس بصوت آمر : « اقعد » .

فأطاع الحارس ، وجلس على واحد من القبور ، فقدم
اليه ابو شكور زجاجة العرق قائلا : « اشرب » .

قال الحارس : « والله ... » .
قال ابو شكور : « اشرب ولا تخف من أي شيء ..

لا من رؤسائك ولا من زوجتك .. اشرب ولا تهتم بشيء » .
فتناول الحارس زجاجة العرق ، وارتشف منها

رشفة صغيرة ، فقال له ابو شكور بصوت محتج : « ما هذا ؟
الشراب بقدر المحبة . اشرب » .

فتجرع الحارس جرعة كبيرة .. عندئذ قال ابو شكور
لابو سمير : « هيا يا ابو سمير .. اكمل » .

فعاود ابو سمير العزف على العود ، وغنى :
هز التوتة يا توات

قال ابو شكور للحارس : « هيا غن معنا . ساعة الفرح
حين تأتي لا ترجع » .

وتعالى صوتا ابو سمير وابو شكور ، ثم انضم اليهما
صوت الحارس مضطربا ، ولكنه تخلص بعد قليل من

اضطرابه ، لتصير الاصوات الثلاثة صوتا واحدا خشنا قويا
مرحا يستقبل صباحا ذا شمس تشرق على احياء واموات .

فقال الرجل الرابع بلهجة هازئة : « العمل أولا يا رجال .
انسيتم ان علينا التحقيق معه لا رسمه » .

قال الرجل الاول وهو يبتسم : « لن تخرب الدنيا اذا
تأجل التحقيق معه حتى الصباح ، فساعة لقلبك وساعة
لربك » .

وتدانت رؤوس الرجال الاربعة ، وتهامسوا ، ثم
تضاحكوا بمرح وصخب ، واخبروا سهيلا بما يريدون ،
فبغت ، وتراجع مدعورا مستنكرا ، ولكنهم سارعوا الى
تهديده باللجوء الى القوة اذا رفض ، وانتصبوا امامه مشدودي
القامات ، قساة ، واعينهم متحفزة فظة شرسة ، فتضائل
الهواء في رئتيه ، وفقد صوته ، ووهنت قواه ، وتحول الى
جسد مرتعش وعينين ضارعتين ...

وغمره خجل عارم ، فأنغمض عينيه
وهو يعض بأسنانه على شفته السفلى ، ولم يفه بكلمة عندما
سأله أحد الرجال بصوت لاهت متهدج : « لماذا مزقت
الصورة ؟ » .

وقال رجل الصورة لمدن محنية الظهر : « الحياة الدنيا
فانية لا خير فيها ، ولا تعطي الا الجوع والاثراح ، فالصبر
الصبر يا فقراء ، فلکم وحدكم الجنة بعد الموت .. » .

وأبصر سهيل الارض حديقة شاسعة خضراء واطفالا
يركضون مرحين تحت سماء زرقاء ، وأبصر الجائعين يهدمون
القبور ويبنون فوقها بيوتا لهم وللشمس والهواء ، فاندفع
دما غاضبا ، ومزق بأصابع نزقة صورة الرجل الملتحي الوديع
الوجه الصارم العينين ، الملتصقة على حائط ، فحاصره توا

لا غيمة للشجار ولا اجنحة فوق الجبل

اعتقلوه ليلا لحظة كان يمزق صورة ملصقة على حائط ،
وكانت لرجل ملتج ، وديع الوجه ، صارم العينين .

واقترادوه سريعا الى قبو عتيق ، عفن الجدران ، مكتظ
بالطاوولات والكراسي ، وهناك تحلقوا حوله وجوها مقطبة ،
واعينا ترمقه بسخرية وفضول .

سأله واحد من الرجال الاربعة : « ما اسمك ؟ » .

— « سهيل .. سهيل بدور » .

— « وعمرك ؟ » .

— « عشرون سنة » .

فقال الرجل لزملائه بدهشة : « انظروا .. انظروا اليه .

انه أجمل من البنات » .

فمد رجل آخر يده ، ولمس وجه سهيل ، وقال باعجاب :

« آخ ما انعم جلده ! » .

وقال رجل ثالث : « لحمه شديد الطراوة » .

أربعة رجال ، وحملته سيارتهم بعيدا عن أشجار الشوارع
والليل ونجومه الدائمة الارتجاف .

وجلس الرجال الأربعة على الكراسي، يدخلون السجائر،
وظل سهيل واقفا دونما حراك، محني الرأس، يحملق في أرضية
الغرفة الوسخة ، حتى طلبوا منه الجلوس على كرسي ،
فأطاع ، وقدم له أحدهم سيجارة ، ثم أشعلها يعود ثقاب
وهو يتنسم بود .

وتحدث الرجال الأربعة بأصوات متدمرة عن ارتفاع
أسعار الخبز واللحم ، وبدوا لعيني سهيل وديعين متعبين
يكبتون رغبة قوية في النوم ، ثم تهض أحدهم فجأة ، وغادر
الغرفة ، وعاد حاملا بطانية ، وفرشها على أرضية الغرفة ،
وطلب من سهيل التمدد عليها ، والتفت الى زملائه متسائلا
بزهو : « اليس فكرتي عظيمة ؟ » .

فندت عنهم صيحات استحسان وترحيب .

واستلقى سهيل على البطانية ملصقا وجهه بصوفها
الخشن ، وارتجف وهو يبصر الأرض تغطيها مشائخ تتدلى
منها جثث عارية صغيرة وانتظر بلهفة وخوف ما سيحدث .

الابتسامة

أوقظ من نومه في الفجر ، وأخرج من زنرائته ،
واقف إلى ساحة تنتصب فيها أوتاد خشبية متباعدة ،
وأوثق إلى أحدها ، فقال بصوت خشن : « لست جباناً . لا أريد
أن تعضب عيناى . أريد أن أشاهد ما يحدث » .

فلم يؤبه لقوله ، وعصبت عيناه بقطعة قماش أسود ،
ثم سمع أحذية ثقيلة تضرب الأرض بقوة ، فارتجف ، وركض
إلى البيت الذي ولد فيه ، ودخله مذعورا لاهثا ، وصاح :
« أمي .. أمي .. » .

فلم يجب أحد ، فقال لنفسه : لعلها نائمة !

واتجه إلى الغرفة التي تنام أمه فيها ، فالفى بابها
مفتوحا ، وأبصر أمه عارية تحت رجل غريب ، فشقق مرتعدا
وحاول التراجع والاختفاء ، ولكنه أخفق وتجمد في مكانه .
وفجأة لمحته أمه ، فقالت له بصوت حاد مرتعش :
« استع وكف عن الحملقة كأبله . هل تشاهد فيلما ؟! هيا

اذهب والعب في الحارة ولا ترجع الى البيت الا حين
اناديك » .

فغادر البيت ، وركض قاصدا الساحة التي تنتصب
فيها أوتاد خشبية متباعدة ، فأوثق الى احدها ، وقال بصوت
متوسل : « اريد الا تعصب عيناى ، اريد أن اشاهد كيف
سأنتحر » .

فلم يؤبه له ، وعصبت عيناه بقطعة قماش اسود ،
ثم سمع صوتا صارما يصدر أمرا تلاه دوي رصاص اصطدم
بخسمة وملاه ثقبوا دامية ، فابتسم ساخرا ، غير ان طلقة
اخرقت سريعا رأسه ، ومحت الابتسامة .

ملخص ما جرى لمحمد المحمودي

كان محمد المحمودي رجلا هرما ، يعيش وحيدا في
بيت صغير ، فلا زوجة له ولا ولد ، ولم يكن لديه ما يفعله
اثر احالته على التقاعد ، فما ان يقبل الصباح حتى يفادر
البيت ، ويمشي في الشوارع ويبد الخطى ، ويتوقف لحظات
ليشتري جريدته المفضلة ، ثم يستأنف مشيه المتباطيء
متجها الى مقهى لا يفصله عن الشارع الصاخب الا حائط من
زجاج . وحين يبلغه ، يدلف الى داخله ، ويقصد طاولة
معينة تتيح له التفرج على الشارع ، ويجلس منتظرا دونما
كلام النرجيلة وفنجان قهوة دون سكر . ثم يخرج من جيبه
نظارة يضعها على عينيه ، ويستغرق في قراءة الجريدة ،
مدخنا النرجيلة ، متطلعا بين الحين والحين الى الشارع
بعينين ذاهلتين .

وكلما جاع ، ينهض بتشاقل واسف ، ويفادر المقهى الى
مطعم قريب ، فيأكل بملل ، ثم يرجع سريعا الى المقهى ليتابع
قراءة الجريدة وتدخين النرجيلة واحتساء الشاي والقهوة

والتفرج على الشارع حتى يعم ظلام الليل ، فيترك وقتئذ المقهى ، ويذهب الى بيته ، ويخلع ثيابه ، ويستلقي على سريره العريض ، ويستسلم توا لنوم عميق .

وأحيانا كان يشاهد امه اثناء نومه ، وكانت تؤنبه بقسوة لانه لم يتزوج ، وتقول مطالبة بطفل يقول لها : « يا جدتي اشتري لي بالونا » .

فيستيقظ من نومه مكتئبا وخجلا من رغبته في النحيب طويلا .

وفي احد الايام ، كان جالسا في المقهى كعادته ، يقرأ الجريدة ويدخن النرجيلة ، فاذا بأصابعه تفلت فجأة الجريدة ، وتندّ عنه شهقة ، ويتهاوى ارضا دون حراك ، فاستدعي على عجل الطبيب الذي قرر بثقة انه قد مات ، وعندئذ جاءت المعاول والرفوش تنفيذا لوصيته ، وحفرت حفرة تحت الطاولة التي اعتاد الجلوس اليها ، ثم حمل برفق وسجي في قاع الحفرة ، وأهيل فوقه تراب كثير ، فلم يحنق أو يتذمر ، انما ابتسم فرحا بخلاصه من المشي في الشوارع والذهاب الى البيت والمطعم ، وأنصت بشغف الى احاديث رواد المقهى وقرقرة النراجيل وصيحات الجرسون ، ولكنه كان يشعر ليلا بالضجر والوحشة والخوف ، اذ يخوي المقهى ويقفل أبوابه .

واتى يوم اقتحم فيه المقهى عدد من رجال الشرطة ، وأخرجوا محمد الحمودي من حفرة ، واقتادوه الى احد المخافر ، وهناك قال له رئيس المخفر بصوت صارم : « نمي ايننا انك تنتقد اعمال الحكومة وتهزا منها وتسبها وتزعم ان

كل قوانينها لا تخدم الا اصحاب البنايات والسيارات والبطون الكبيرة » .

فهتف محمد الحمودي مرتاعا مستنكرا : « انا اسب الحكومة ؟ اعوذ بالله ! انا لست ممن يشربون من النبع ثم يبصقون فيه . اسأل عني . كنت موظفا مثاليا ، وكنت أطيع الاوامر والقوانين وأنفذها بدقة . اسأل عني . لم اسكر يوما ولم أتحرش بامرأة ، ولم أوذ أحدا ، وكنت ... » .

فقاطعه رئيس المخفر قائلا : « ولكن التقارير الواردة الينا بشأنك لا تكذب ، واصحابها موضع ثقة كاملة » .

ارتعد محمد الحمودي ، وقال بصوت متهدج : « أقسم بالله اني عشت حياتي كلها دون أن أتكلم يوما في السياسة ، ولم أسب طوال عمري لا حكومة ولا حكاما » .

قال رئيس المخفر : « ها ها .. من فمك أدينك . انت قلت انك لم تسب الحكومة ولم تقل انك مدحتها ، افلا تستحق في رأيك المديح ؟ » .

فحاول محمد الحمودي التكلم ولكن رئيس المخفر تابع قائلا : « وحتى اذا كان ما تقوله صادقا فهو امر غريب جدا لان الناس جميعا تشوهوا وصاروا حاقدين موتورين ، يسبون الحكومة والحكام متناسين وجوب اطاعة اولياء الامر ، وان للسياسة اهلها » .

قال محمد الحمودي بصوت واهن : « هذا صحيح . الجميع يتحدثون في السياسة ولا يتركون مسؤولا في الدولة الا ويلصقون به أشنع الصفات ، أما أنا ... » .
قال رئيس المخفر مقاطعا بصوت وديع متسائل :

« وانت في المقهى تسمع طبعاً ما يقولون وتعرف أسماء الذين يتكلمون ؟ » .

هز محمد الحمودي رأسه بالإيجاب ، فابتسم رئيس المخفر وقال : « انت كما يبدو رجل طيب ومواطن صالح ، وأنا أرغب فعلاً في مساعدتك كي تنجو من التهمة الموجهة اليك ، ولكن عليك أيضاً أن تساعدني » .

قال محمد الحمودي بدهشة : « وكيف أساعدك وأنا ميت ؟ » .

فضحك رئيس المخفر ضحكة مرحة ثم قال : « الامر بسيط جداً ومسل . اسمع ... » .

وانصت محمد الحمودي الى ما قاله رئيس المخفر ، ثم عاد بعد قليل الى حفرة في المقهى وهو شديد الابتهاج ، اذ بات لديه ما يفعله ، ولم يعد يشعر بالوحشة والضجر والخوف حين يقفل المقهى ابوابه في منتصف الليل ، اذ كان يسارع آنذاك الى كتابة ما سمعه من رواد المقهى محاذراً النسيان .

رندا

- ١ -

دخلت الريح مرتبة الى مدرسة للبنات الصغيرات ، وقالت لمديرتها : « يا آنسة ... أريد أن أصير تلميذة في مدرستك » .

قالت المديرة بوقار : « أنظمة المدرسة لا تسمح بالموافقة على قبولك تلميذة » .

حزنت الريح ، وهمت بمغادرة المدرسة ، فاستوقفتها بنت صغيرة اسمها رندا ، وقالت لها متسائلة : « لماذا تريدان الانتساب الى المدرسة ؟! » .

قالت الريح : « أريد أن أتعلم الكتابة » .

قالت رندا : « أنت ريح ، فما حاجتك الى تعلم الكتابة ؟ » .

قالت الريح : « أريد أن أكتب اسمي على وجه البحار والانهار » .

فضحكت رندا وقالت مفتبطة : « اذن ستصبحين تلميذتي ، واكون انا معلمتك » .
وتعلمت الريح كيف تكتب اسمها ، ولكنها نسيت فيما بعد معلمتها ، اما رندا فلم تنس تلميذتها الاولى .

- ٢ -

كانت رندا جالسة في غرفتها لحظة جاءها عصفور صغير وقال لها وهو يبكي : « ماما .. ماما » .
فسألته بلهفة عن سبب بكائه ، فأنبأها بأن قطا حاول أن يأكله .
ففضبت رندا ، وأقسمت انها ستكره القطط ، ولكنها تجاهلت قسمها لما التقت بقط جائع .

- ٣ -

نظرت رندا الى الغيوم ، وقالت : « انا لا احب الغيوم لانها تحجب الشمس » .
فقالت الغيوم لرندا : « أنت تنسين اصدقاءك بسرعة ، فمن بكى متعاطفا معك ليلة بكيت لان اباك سافر ؟! انا التي بكت ولم تترك نجمة دون ان تبللها » .
سمعت رندا ما قالته الغيوم ، فتذكرت اباها المسافر ، وبكت ، وبكت الغيوم ، فابتلت الاعشاب والاشجار ، واجنحة العصافير والشوارع والمباني .
وعندئذ قالت رندا للمطر الغزير : « دموعي بللت وجهي ، وها انت ذا تبلل شعري . سأزعل منك اذا لم تختف فورا » .

٨٨

فاضطرب الشتاء ، ووضع امطاره وغيومه ورياحه وثلوجه في حقيبة ، ورحل تاركا رندا تنتظر الصيف كي يمسح دموعها بشمسهِ الحارة .

- ٤ -

كانت رندا تحب القمر . ليلة يبزغ ، تأبى أن تنام في الوقت المعتاد . وقد قالت لها أمها في احدى الليالي مهددة : « اذا لم تنامي فورا ، فساطلب من القمر أن يغيب »
فقال القمر لرندا : « يا بنت لا تصدقي كلام أمك فلن ارحل وأغيب » .
ودهشت رندا لان أمها لم تسمع ما قاله القمر وتابعت تهديدها .

- ٥ -

عندما شاهدت رندا البحر لأول مرة ، صاحت بدهشة واعجاب : « ما اكبر هذا النهر ! »
ففضب البحر وقال لرندا بلهجة مؤنبية : « انا نهر ؟! انا بحر . ومن المهانة ان أقارن بكل ما على سطح الارض من أنهار » .
فسخرت رندا من كلامه ، وانهتته بالفرور ، ولكنها في السنوات التالية أحبت البحر حبا لا يخلو من خوف ، وعرفت ان الانهار لا بد في ختام رحلتها من أن تأتي الى البحر لتتلاشى في أمواجه .

٨٩

- ٦ -

أفاقت رندا من نومها ، وقالت للشمس : « صباح الخير » .
قالت الشمس : « أنا جائعة . أريد حليباً ساخناً » .
قالت رندا : « أهلي فقراء ونحن لا نشرب الحليب صباحاً » .
فشحب وجه الشمس اشفاقاً وأسفاً .
وفيما بعد كانت الشمس ما أن تتذكر رندا التسي لا تشرب الحليب صباحاً حتى يشحب وجهها ، فيقول الناس : « ها هي ذي الشمس موشكة على المغيب » .
فتبتسم رندا ساخرة ، فهي وحدها تعلم السر في شحوب الشمس ، وتكتم ذلك السر :

- ٧ -

قالت رندا يوماً لخروفها الصغير : « اكبر بسرعة » .
قال الخروف الصغير : « لو كنت تحبينني لما طلبت مني هذا الطلب » .
فأكدت له أنها تحبه ، ولكنها تتمنى أن يكبر كي تزهر به أمام رفيقاتها .
وكبر الخروف ، واقتيد إلى دكان الجزار ، فانتحبت رندا انتحاباً مرا ثم ينقل خروفها من سكين الجزار .

- ٨ -

قالت رندا لأحد الجياد : « لماذا تصرخ ؟ » .

قال الجواد بترق : « كلامك مضحك مخطيء ، أنا لا أصرخ ، أنا أصهل » .
قالت رندا : « لا داعي إلى الزعل . لماذا تصهل ؟ » .
قال الجواد : « اني أصهل شوقاً إلى مدينة الجياد » .
قالت رندا باستغراب : « وهل للجياد مدينة ؟! هذا خبر جديد لم يرد في أي حكاية سمعتها » .
قال الجواد : « للجياد مدينة يعيشون فيها أحراراً كالفيوم » .
فتذكرت رندا توا أوامر أمها ومعلمات مدرستها ، فقالت للجواد متوسلة : « خذني إلى مدينة الجياد » .
فرفض الجواد قائلاً أن مدينة الجياد يوم تطاها قدما انسان ستتحول إلى سجن .
قالت رندا متعجبة : « أنا مجرد بنت صغيرة » .
قال الجواد : « ولكنك ستكبرين في الأعوام القادمة » .
زعلت رندا من الجواد ، ولكنها لم تتخل عن حبه للجياد ، وظلت تحلم بالسفر إلى مدينتهم .

- ٩ -

حملت رندا إلى المرأة ، ثم قالت لامها متسائلة : « ماما! من أين أتيت ؟ » .
ففكرت الأم هنيهات ثم قالت ضاحكة : « اشترينا يوماً باقة ورد ، فوجدناك فيها ، وكنت وردة بيضاء صغيرة ، ولما ارتويت من حليب ثديي تحولت إلى بنت صغيرة مأكرة » .

فضحكت رندا بمرح ، وصممت على ان تشتري

بأقة ورد .

- ١٠ -

سألت رندا البنفسج : « كيف صار لونك جميلا أزرق ؟ »
قال البنفسج : « في القديم كانت الارض مكتئبة ،
فأمطرت اسحب زهرا بلون السماء بدلا من المطر ، فكنت انا
ذلك الزهر » .

فحدقت رندا الى السحب السوداء التي تزدحم بها
السماء ، وانتظرت بلهفة ان تهطل ورذا أسود . ولكن الورد
الاسود ظل مختبئا في السحب .

- ١١ -

استلقت رندا على سريرها الصغير متعبة ، وحاولت
ان تنام . فقال الليل لها : « احكي لي حكاية » .

قالت رندا : « لا اعرف أي حكاية » .
قال الليل : « ولكن أمك روت لك حكايات كثيرة » .
قالت : « نسيته » .

قال : « سأزعل » .
قالت : « ازعل » .
فزعل الليل ، وصار أسود .

- ١٢ -

رسمت رندا شمساً زرقاء وسماء صفراء وحقلا احمر .

٩٢

فقالت الشمس : « يا لك من بنت بلهاء : لوني اصفر
اصفر . من رأى شمساً زرقاء ؟ » .

وقالت السماء : « ألم تنظري اليّ يوما ؟ فلوني ازرق ،
ازرق كالبحر » .

وقال الحقل : « بالتأكيد انت جاهلة ! الحقل اونه
اخضر لا احمر » .

استاءت رندا ، وغمست فرشاتها باللون الاسود ،
وطمست به الشمس والسماء والحقل ، فاخفتت الاصوات
المحتجة الساخطة .

ثم رسمت رندا غرابا بألوان حمراء وخضراء وصفراء
وزرقاء ، فقال لها الغراب مبتهجا : « اني مطالب بتقديم
الشكر . لقد سئمت لوني الاسود الحزين ، وسأترك الآن
كي تراني الطيور وتحسدني » .
وطار الغراب تاركا رندا وحيدة .

- ١٣ -

وقفت رندا على رصيف شارع ، وضحكت وهي تحس
بحب عارم لكل ما حولها ، وعندئذ حدث امر غامض ،
فالشجار المبارية الاغصان اكتست بالاوراق الخضراء ..
ورحلت الغيوم التي كانت تأبى التحرك ، وغرد حسون
متناسيا سجنه في القفص المعلق على شرفة احد المنازل .

ولما عادت رندا الى البيت ، روت لامها ما جرى ،
فقالت لها الام مقطبة الجبين : « كفي عن الكذب » .
فاكدت رندا لامها انها لا تكذب ، وضحكت ضحكة

٩٣

مفعمة بالحب لكل ما حولها ، فصدقت الام آنذاك ما جرى
لبنتها الصغيرة .

- ١٤ -

لرندا دميّتان : قطّة سوداء وأرنّب أبيض .
قال الأرنّب للقطّة متسائلاً بسخرية : « لماذا أنت
سوداء ؟ ! » .
قالت القطّة بنزق وهزاء : « ولماذا أنت أبيض ؟ » .
قالت رندا لهما : « كفا عن التشاجر » .
قالت القطّة : « لو يعلم الأرنّب من أنا لما سخر مني » .
قالت رندا : « قولي له من أنت » .
قالت القطّة : « أنا بنت ملك » .
قالت رندا وهي تبتسم : « ولماذا صرت قطّة ؟ » .
قالت القطّة : « صرت قطّة لأصبح صديقتك وأنام معك
في سرير واحد وأسليك ساعة تحزين » .
قال الأرنّب : « وأنا أيضاً لو علمت القطّة من أكون
لاحترمتني أعظم الاحترام ! » .
قالت رندا : « هيا تكلم وقل للقطّة من تكون » .
قال الأرنّب : « أنا أرنّب كان فيما مضى من السنين
يمتلك البراري الشاسعة » .
قالت رندا : « ولماذا تخلّيت عن براريك وجئت لتحيا
في غرفتي الصغيرة » .
قال الأرنّب : « فعلت ما فعلت كي أقول لك حين
تشرق الشمس : صباح الخير » .

١٤

فضمت رندا القطّة والأرنّب الى صدرها تفرها غبطة
تشبه قطّة صغيرة تلعب بمرح .

- ١٥ -

غادرت رندا مدرستها ، ومشّت في الشوارع بخطى
متباطئة ، وفجأة تنبّهت الى ان أوراق الاشجار بدأت
بالاصفرار والتساقط ، فقالت لاحدى الاشجار : « ما بك ؟
هل أنت مريضة ؟ » .
قالت الشجرة : « لست مريضة ولكني متضايقة
ومفتاظة » .
قالت رندا : « وما السبب ؟ » .
قالت الشجرة : « انظري الى ما حولك ، كل شيء
يتحرك .. الغيوم والسيارات والطائرات والناس ، أما أنا
فمحكوم عليّ بالآلأ اتحرك حتى أيبس وأتحول الى حطب » .
قالت رندا : « ومن يمنعك من التنقل من مكان الى
مكان ؟ » .
قالت الشجرة : « جذوري متغلّفة في التراب ، ولا
تسمح لي بأن أفعل ما أشاء » .
قالت رندا : « اذن لا داعي الى الترفزة » .
قالت الشجرة بحنق : « لا أريد سماع نصائح ، ولو
كنت مكاني لصرت شجرة سوداء » .
وابتعدت رندا عن الشجرة ، وقصدت الى البيت ،
ولما وصلت اليه ، قالت لشجرة الليمون المنتصبّة في
الباحة : « لماذا لا تصفر أوراقك وتتساقطين ؟ » .

١٥

قالت شجرة الليمون : « حين تكبرين ستعرفين السبب » .
فاشتد فضول رندا ، ووجهت الكثير من الاسئلة ،
ولكن شجرة الليمون لا ذت بالصمت ، فهرعت رندا الى أمها ،
وطلبت منها بصوت متوسل أن تشتري لها ثوبا أخضر .

- ١٦ -

قالت رندا لصديقاتها الثلاث : « سنلعب اليوم لعبة جديدة » .
فقالت الصديقات الثلاث متسائلات : « أي لعبة سنلعب ؟ » .

قالت رندا : « أنا سأكون الملكة » .
قالت الصديقات الثلاث : « ونحن ؟ .. » .
قالت رندا : « أنتن شحاذاات تجئن الى قصري وتطلبن مني مالا لتشترين خبزا » .
رفضت الصديقات الثلاث أن يلعبن ، وقلن أنها لعبة مملة .
فخجلت رندا ، ولكنها بعد قليل اعترفت بأن لعبتها مملة .

- ١٧ -

قالت المعلمة لرندا : « هيا اقرئي الحروف المكتوبة على اللوح » .
أطاعت رندا ، وقرأت بصوت عال : « ألف » .
سألها المعلمة : « حرف ألف .. ماذا يشبه ؟ » .

فكرت رندا قليلا ثم قالت : « حرف ألف يشبه السيف » .
قالت المعلمة : « كيف ؟! السيف في بلادنا مقوس النصل » .
قالت رندا : « انه فعلا سيف عجوز محني الظهر ، ولكنه دعي الى معركة فرجع شابا » .
ضحكت المعلمة بينما كانت رندا تبصر حرف ألف وقد تحول الى ولد مشعث الشعر يركض في الحقول هاربا من حروف أخرى كثيرة تطارده وتحاول امساكه .

- ١٨ -

همت رندا بقطف وردة حمراء جميلة من احدى شجيرات الورد ، فقالت الشجيرة لرندا بضراعة : « لا تقطفي هذه الوردة فأنا احبها أعظم الحب » .
قطبت رندا جبينها ، فقالت شجيرة الورد : « كان وردي قديما ذا لون أبيض ثم صار فيما بعد أحمر ، واذا وعدتني الا تقطفي من وردي حكيت لك عن السبب » .
قالت رندا بفضول : « هيا احكي كيف تحول لوئلك من أبيض الى أحمر » .

قالت شجيرة الورد : « كنت في قديم الزمان كما قلت لك شجيرة ورد أبيض ، وكان يقال عن وردي انه يشبه الثلج وغيوم الصيف . وفي يوم من الايام جاء رجل وقعد قريبا مني ، وبكى بحرارة ، فسألته عن السبب ، فقال لي ان ثلاثة أيام مرت عليه دون أن يأكل اي طعام ،

فألمني كلامه ، وقررت مساعدته ، وقلت له : وردي أجمل من الخبز ، فاقطف وردة من وردي واجعلها طعامك ، ولا بد من انها ستسكت جوعك بعض الوقت . فقال الرجل لي : أنت بالتأكيد شجيرة حمقاء ، فهل الوردة الجميلة تشبع معدة جائع ؟ وابتعد عني غاضبا ، فخجلت خجلا عظيما الى حد ان لوني الابيض اختفى ، وصرت منذ تلك اللحظة شجيرة تنبت وردا احمر اللون .

- ٢٠ -

كانت رندا تملك كرة صفراء تحب اللعب ، وقد قذفت بها يوما الى اعلى ، فلم ترجع الكرة ، فأمنت منذ ذلك اليوم ان كرتها الصفراء قد صارت شمسا . ولما تحدثت المعلمة في المدرسة عن الشمس ، قالت رندا لنفسها : « لا بد من ان أحدهم خدع معلمتي بمعلومات خاطئة » .

واخبرت رندا معلمتها ان الشمس هي كرتها الصفراء . فضحكت المعلمة وقالت : ولكن الشمس .. ألم تكن موجودة قبل ان تقذفني كرتك الى اعلى ؟ . فوجمت رندا ، واقتنعت ان الشمس ليست كرتها الصفراء ، ولكنها ظلت أمدا طويلا تتسائل بحيرة : « اذن أين كرتي الصفراء ؟! » . وفي احدى الليالي ، شاهدت القمر اصفر اللون ، فابتسمت مسرورة ، وتلاشى تساؤلها .

- ٢١ -

وقفت رندا في باحة البيت يغمرها ضياء شمس حارة ، وتخيلت الصيف طيرا ضخما يحترق ويظهر من

فألمني كلامه ، وقررت مساعدته ، وقلت له : وردي أجمل من الخبز ، فاقطف وردة من وردي واجعلها طعامك ، ولا بد من انها ستسكت جوعك بعض الوقت . فقال الرجل لي : أنت بالتأكيد شجيرة حمقاء ، فهل الوردة الجميلة تشبع معدة جائع ؟ وابتعد عني غاضبا ، فخجلت خجلا عظيما الى حد ان لوني الابيض اختفى ، وصرت منذ تلك اللحظة شجيرة تنبت وردا احمر اللون .

لم تقطف رندا الوردة ، ولكنها بعد أيام عندما سمعت في الشارع ولدا يقول لامه باكيا : « انا جائع » ، هربت الى البيت ونظرت الى المرأة بخوف .

- ١٩ -

حملت رندا الى حائط عتيق مهترى متشقق ، فشاهدت رجلا يسعل ويقول لها : « اعطيني ملعقة من دواء السعال » .

وشاهدت زورقا يمخر بحرا متلاطم الامواج ، وسمعت بحارته يطلقون صيحات الاستغاثة . وشاهدت ولدا يتسلق شجرة ، فقالت له ناصحة : « ستقع يا ولد ويسيل الدم من رأسك » .

فلم يأبه الولد لنصيحتها ، واستمر في تسلق الشجرة ، ولكنه سقط فجأة أرضا ، وشج رأسه ، فبكى وصاح : « بدي ماما » .

وقال الرجل الذي يسعل : « أين دواء السعال ؟ » . وصرخ البحارة بأصوات متوسلة : « نحن نفرق » .

مكان الى مكان باحثا عن نهر ، ولكن الانهار تطرده
قائلة : « مائي للبساتين خادملك » .

ونظرت رندا الى الشمس متضايقه ، فقالت الشمس
لها : « ما اسمك يا بنت ؟ » .

فقالت رندا بصوت هازيء : « ولماذا تسألين ؟ انت
شمس ام انك شرطي ؟! » .

قالت الشمس بدهش : « اتسخرين مني ؟ » .
قالت رندا : « انا اسخر منك لانك تتكلمين معي وكأنني
خادملك » .

قالت الشمس بحنق : « ستندمين يا بنت اشد الندم
ففي المساء سأغيب ولكنني لن اعود في الصباح فيبقى
الظلام ولا يرحل » .

ضحكت رندا ، وقالت للشمس : « لو كنت تذهبين
مثلي الى المدرسة لما تكلمت كلاما خاطئا كما تكلمت الان .
صحيح انك تختفين في اخر النهار ولكنك لا بد عائدة
في صباح اليوم التالي ولن تستطيعي تنفيذ تهديدك » .

تلاشى غيظ الشمس وحل محله فرح خفي ، فحتى
البنات الصغيرات صرن لا يمكن خداعهن .

- ٢٢ -

شحب وجه رندا عندما قالت امها لها : « سأذهب
لزيرة جارتنا المريضة » .

ولكنها تظاهرت باللامبالاة ، وقالت لامها بلهجة
متوسلة : « خذيني معك » .

١٠٠

قالت الام متسائلة : « هل تخافين من البقاء وحدك
في البيت ؟ لا تقولي انك تخافين فقد صرت صبية » .

قالت رندا : « لست خائفة ، وما الذي سأخاف منه؟ » .
فابتسمت الام ، وقالت : « لن اغيب طويلا .. مجرد
دقائق » .

وغادرت الام البيت ، فأمسكت رندا مجلة ، وراحت
تتفرج على صورها الملونة .

وبغلة سمعها صوت يقول : « رندا .. رندا » .
فتطلعت فيما حولها مرعوبة ، فلم تبصر احدا ،

فازداد رعبها ، ولكن الصوت تعالى ثانية قائلا بتأنيب :
« لماذا لا تجاوبين ؟ الا تريدن التكلم معي ؟ » .

قالت رندا : « من الذي يتكلم ؟ » .
وسمعت الصوت يقول : « انا الذي يكلمك » .

فتلفت رندا مستطلعة ، فألفت الفرفة خاوية . قال
الصوت :

« انا هنا .. انظري الى النافذة » .
ونظرت رندا الى النافذة ، فابصرت غرابا على حافتها ،

فشهقت متعجبة ، وقالت : « انت الذي يتكلم » .
قال الغراب بنزق : « لماذا الاستغراب ؟ نعم .. انا
الذي يتكلم » .

قالت رندا : « ولكن الغرابان تقولا للبار الذين
قاق قاق » .

قال الغراب : « نحن الغرابان نقول للبار الذين
يحاولون صيدنا دائما : قاق ، قاق ، سأخرين منهم ، ولكن
الصفار الذين لا يؤذوننا نجب التحدث معهم » .

١٠١

وفي تلك اللحظة رجعت الام من بيت الجارة المريضة ،
وما ان دخلت الغرفة وابصرها الغراب حتى نعب قائلا :
« قاق .. قاق » .
وطار بعيدا ، فضحكت رندا طويلا ، ولاذت بالسكوت
عندما سألتها امها عن سبب ضحكها :

- ٢٣ -

سمعت رندا جرس الباب يرن بالحاح ، فصاحت امها
التي كانت تكنس احدى الغرف : « يا رندا اذهبي بسرعة
وافتحى الباب » .
فاطاعت رندا ، وفتحت الباب ، قابضت شحاذا
عجوزا يرتدي ثيابا بالية ، وما رآها حتى مد كفه نحوها
قائلا بصوت مرتعش : « اعطوني مما اعطاكم الله » .
وجاء صوت الام من داخل البيت : « من جاء يارندا ؟ » .
قالت رندا بصوت رفيع حاد عال : « شحاذ » .
قالت الام : « ماذا يريد ؟ »
قالت رندا للشحاذ : « امي تقول ماذا تريد » .
قال الشحاذ : « اريد رغيف خبز . انا جائع » .
صاحت رندا : « ماما .. الشحاذ يقول انه جائع
ويريد رغيف خبز » .
وظلت رندا متجمدة تحديق الى الشحاذ مرتجفة مذعورة
حتى جاءت امها وهي تحمل رغيف خبز ، وقدمته للشحاذ
الذي تناوله باحترام ، ورفع به حركة خاشعة الى فمه ،
وقبله ، ثم تمت بكلمات مبهمه شاكرا ، وابتعد عن باب
البيت وهو يمشي بخطى متثاقلة .

١٠٢

واغلقت الام الباب ، فقالت رندا لها : « ماما .. لماذا
باس الشحاذ الرغيف ؟ » .
قالت الام : « باسه لانه يحبه كثيرا » .
قالت رندا : « ولماذا يحبه الى هذا الحد ؟ » .
اجابت قائلة وهي تبسم : « لولا الخبز لمات
الناس جوعا » .

ولما عادت الام الى الغرفة التي كانت تكنسها ، قصدت
رندا المطبخ ، وهناك امسكت رغيف خبز ، وقبلته ، وعندئذ
ارتجفت وكأن قلبها جناحا عصفور سجين في غرفة صغيرة
من اسمنت لا باب لها ولا نوافذ .

- ٢٤ -

كانت رندا تقرا دروسها بصوت مرتفع رتيب بينما
امها منهمكة في رفو ثوب .
وتنبهت رندا فجأة الى فراشة بيضاء تحوم في سماء
الغرفة ، فتوقفت عن القراءة ، وقالت لامها بفرح : « ماما ..
انظري الى الفراشة البيضاء . ما اجملها ! »
قالت الام دون ان ترفع رأسها : « انها تبشر بمجيء
الربيع » .
فعاودت رندا قراءة دروسها بصوت مرتفع رتيب ،
ولكنها لم تفهم ما كانت تقراه ، انما كانت تعدو في حقول
مكتظة بالاشجار والازهار ، تحوم في سمائها الزرقاء
فراشات حمراء وبيضاء وصفراء وخضراء .
وتقبل عربة بيضاء تجرها جياذ بيض ، وتقف بالقرب
من رندا ، ويترجل منها رجل ، ويقول لرندا : « انا الربيع » .

١٠٣

فتقول رندا له : « انت الذي تتحدث عنك كتبي المدرسية ؟ » .
فيقول الرجل : « نعم .. انا الربيع » .
فترجوه رندا ان يوقع باسمه على دفترها ، فيلبي طلبها ، غير انه لم يكن يعرف ان يكتب اسمه ، فيكتفي بأن يرسم على دفترها ازهارا واشجارا وعصافير وشموسا مشرقة .

- ٢٥ -

قالت رندا لاحدى صديقاتها : « حينما اكبر سأصير غيمة فارحل من مكان الى مكان » .
قالت الصديقة : « اما انا فسأصير ريخا وارغمك على السير وفق مشيئتي » .
قالت رندا : « لن اصير غيمة ، سأصير نجمة » .
قالت الصديقة : « ولكن النجمة تختفي حين يأتي النهار » .

قالت رندا : « سأصبح وردة » .
قالت الصديقة : « ستقطعك الايدي لتضعك في آنية » .
قالت رندا : « سأصير بلبلًا » .
قالت الصديقة : « سيصيدك الصياد ويبيعك لتسجنني في قفص » .
فكرت رندا حائرة ثم قالت بثقة : « حين اكبر سأظل بنتا صغيرة اسمها رندا » .

- ٢٦ -

كانت رندا موشكة على النوم عندما سمعت دماها

تحكي عن كنوز تعرف مخابئها ، فسادت ان ترجوها ارشادها الى مخابئ تلك الكنوز ولكن النوم كان اقوى منها فحملها بعيدا عن الدمى .

ولما افاقت من نومها صباحا تذكرت حديث دماها عن الكنوز ، فسارعت تسألها عنها ، فظلت الدمى ساكنة ، فاغتاظت رندا ، وانبات أمها بما جرى ، فقالت الام لها : « انها تكذب ، ولو كانت تعرف مخابئ الكنوز لاشتريت ثيابا جديدة وسيارات ، ولما قبلت العيش معنا » .

ولما جاء الليل واغمضت رندا عينيها محاولة النوم ، سمعت دماها تتكلم عن كنوز ، فابتسمت بهزاء واستسلمت لنوم عميق ذي احلام بعيدة عن الكنوز .

- ٢٧ -

حدثت رندا باعجاب الى طائفة فضية اللون كانت تعبر الفضاء الازرق ، وتابعتها بنظراتها حتى اختفت ، ثم اسندت ظهرها الى الحائط ، واغمضت عينيها ، فجاء ملك يمتطي سهوة جواد اسود ، وقال لرندا : « انا عطشان » .
فقدمت رندا له ماء باردا ، فشرب الملك حتى ارتوى ، ثم قال لرندا : « انت انقذت حياتي من الهلاك فاطلبي من تشائين » .

قالت رندا دون تردد : « اريد ان اطيير » .

فأصدر الملك اوامره ، فبادر علماء مملكته الى تنفيذ اوامره ، وصنعوا جناحين جميلين قدمهما الملك لرندا وهو يقول :

عندما كانت رندا نائمة ، ركضت في بستان مكتظ
بالاشجار وتنهت بفتة الى ان طيرا ابيض ضخما يطاردها ،
فدعرت ، وارادت ان تستفيث ولكنها اخفقت ، وانقض
الطير عليها وحملها وطار بها ، فقالت بصوت مبتل
بالدموع : «ماما .. بابا» .

فقال الطير الابيض لها : « لا تخافي » .

واستمر الطير الابيض في طيرانه حتى بلغ مدينة
بيوتها بيض وتسكنها طيور بلون الثلج ، ولم تبصر رندا
اي انسان .

حط الطير الابيض على الارض ، وقال لرندا :
« ستعيشين الان سعيدة ، فهنا لا مدرسة ولا معلمات ولا
دروس ولا امهات يأمرن » .

فرحت رندا ، ولكنها ما ان تذكرت امها وبيتها وحارتها
ورفيقاتها ومدرستها حتى وجدت نفسها تبكي بكاء مرا ،
وبدت لعينها البيوت البيض وطيورها قُبورا مخيفة ،
وبذلت جهدا حتى تمكنت من ان تستيقظ من نومها ، وكان
الليل لا يزال مهيمنا ، فمسحت دموعها ، وتمنت ان يأتي
الصباح سريعا لتركض في حارتها وتقرع ابواب بيوتها
متلهفة الى سماع الاصوات الغاضبة المؤنبة .

تعرف رندا الكثير من الكلمات غير انها كانت تحب
كلمة « نهر » حبا غامضا .

وطارت رندا كما يطير السنونو وعصفور الدوري
والطائرة ، ولكن صوت امها بلغ سمعها مناديا بالحاح ،
ففتحت عينيها فوجدت نفسها ملتصقة بحائط ،
منتظرة بلهفة مقدم ملك عطشان .

كانت رندا تمشي في سوق مزدحمة ، فشاهدت حمارا
يقف بالقرب من الرصيف ، تثقل ظهره اكياس مليئة
بالحطب ، فتوقفت ، وسألته قائلة : « انت الحمار ؟! » .
قال الحمار بصوت ساخط : « نعم .. انا الحمار ،
فمن خدعك وقال لك اني غزال او شحرور ؟! » .
قالت رندا : « ماذا تأكل ؟ » .

قال الحمار : « افطاري حلوى وغدائي لحم مشوي اما
في المساء فلا اكل شيئا تنفيذا لتعليمات طيبي
الخاص » .

قالت رندا : « واين تنام ؟ » .
قال الحمار : « انام في افخم فندق » .
قالت رندا بلهجة موبخة : « انت حمار سيء الاخلاق .
اسالك بتهذيب فتجاوب هازئا بي ؟! » .
قال الحمار بنزق : « ضعي على ظهرك هذه الاكياس
الثقيلة ثم جاوبي افضل من اجوبتي » .

فسكتت رندا ، وفيما بعد عندما شتمها احدا الاولاد
وسخر منها واتهمها بانها تشبه الحمار ، لم تغضب
وضحكت ضحكا ارغم خصمها على الدهشة .

وفي يوم من الايام ، رددت بصوت خفيض مفعم
بالنشوة : « نون .. هاء .. راء » .

وتلاقت الاحرف الثلاثة معا ، لتصبح نهرا من نجوم ،
ونهرا من اشجار ، ونهرا من بنات صغيرات يركضن تحت
المطر ، ونهرا من تفاح احمر ، ونهراً من قطط وعصافير ،
ونهرا من ذهب .

وها هم الناس يتراکضون نحو نهر الذهب ،
ويتشاجرون ، وكل منهم يبغي الحصول على اكبر كمية من
الذهب ، فتغضب رندا ، وتسارع الى تخيل نهر من خبز ،
فيهرع اليه اطفال صفر الوجوه ، هزيلو الاجسام ، فيضمحل
غضب رندا ، وتزداد حبا لكلمة « نهر » .

- ٣١ -

اغمضت رندا عينيها ، فحل ليل اسود ، ثم فتحت
عينيها ، فسطع نهار ذو شمس مضيئة .
ضحكت رندا مبتهجة ، فها هي ذي قد باتت قوية ،
يطيع الليل والنهار اوامرها دون تمهل .

- ٣٢ -

فرحت رندا عندما اشترت لها امها تمثالا خشبيا
لفزال صغير .
ولما رجعت الى البيت ، سارعت الى غرفتها ، ووضعت
الفزال الخشبي على سطح طاولة .

١٠٨

قال الفزال الخشبي : « ازيحي الستارة عن النافذة
فالانا لا استطيع العيش دون شمس وهواء » .

صاحت رندا بدهشة : « ما هذا ؟! فزال من خشب
ويتكلم ؟! »

قال الفزال الخشبي : « اضطرت الى ان اصبح فزالا
من خشب حتى لا يقتلني الصيادون ويأكلوا لحمي فلا أحد
يأكل فزالا من خشب » .

اعجبت رندا بذكاء فزالها ، وصارت منذ تلك اللحظة
تنظر الى كل ما هو من خشب على انه هارب ، استخدم
ذكاءه للنجاة من الموت .

- ٣٣ -

يموء القط ، ويقول لرندا : « جعت وحن وقت غدائي » .
فتسأله رندا : وماذا تريد ان تأكل ؟ .
يقول القط : « اي شيء يؤكل . ارحب بقطعة خبز » .
تقول رندا : « سأحضر لك قطعة خبز » .
فيقول القط : « لا لا لا ... تمهلي .. لا اريد قطعة خبز .
سأجد صعوبة في مضغها وابتلاعها . اريد قليلا من الحليب » .
تقول رندا : « سأجلب لك صحننا مليئا بالحليب » .
يقول القط : « الحليب لذيذ الطعم ولكن الجبن
افضل كما اعتقد » .

تقول رندا : « ستنال قطعة كبيرة من الجبن » .
يقول القط : « لا . لا . من المؤكد ان اللحم نافع
للجسم اكثر من الجبن » .

١٠٩

تقول رندا : « سأعرض لتوبيخ أمي من أجلك واسرق لك قطعة من اللحم النيء » .

يقول القط : « ما دمت مستعدة للتضحية من اجلي فأريد عصفورا حيا او قارا فاكل واتسلى في وقت واحد » .

فتصيح رندا نافذة الصبر : « ابتعد عني والا ضربتك فاننا لست امك ، ولن اقدم لك اي طعام مهما توسلت او بكيت » .

فيسكت القط قليلا ثم يقول بصوت خافت ذليل : « تكفيني قطعة صغيرة من الخبز ، ولن اتذمر اذا كانت يابسة » .

فتحضر رندا قطعة خبز ، وترميها للقط ، فيتلقفها بلهفة وغبطة ، ويشرع تواقا في اكلها بشراهة بينما رندا تراقبه مدهوشة ودون ان تعرف السبب الذي جعلها تشعر في تلك اللحظة انها في مدرستها تنصت للدرس مهم من معلمتها .

- ٣٤ -

قالت رندا لامها المنهمكة في طهو الطعام : « سأقف قليلا عند باب البيت » .

قالت الام : « اذهبي ولكن اياك والابتعاد عن البيت » .

وقفت رندا عند باب البيت ، تتفرج على المارة : فدنا منها ولد صغير ، اسمر الوجه ، وديع ، وقال لها : « تعالي العبي معي » .

فتأملته رندا ، فبدت قامته قصيرة بطول قلمها

الرصاصي ، فقالت له بجفاء : « انا لا اعرفك فلماذا تتكلم معي ؟ » .

فاكتأب الولد ، واحمر وجهه ، وهم بالمسير ، فقالت رندا له : « ما اسمك ؟ » .

قال الولد وقد ابتهج وجهه : « احمد » .

قالت رندا : « اسمي رندا » .

قال الولد : « اختي الكبيرة اسمها سلمى » .

قالت رندا : « انا لا اخوة لي » .

قال الولد بتأفف : « اخوتي كثيرون الى حد اني لا احفظ اسماءهم » .

فشعرت رندا بحزن مباغت غريب دفعها لان تترك الولد وترجع الى داخل البيت ، وهناك لم يفارقها حزنها الغريب .

قالت شجرة الليمون : « انا سأصبح اختك » .

وقال عصفور : « وانا سأصبح اخاك » .

وقال الشتاء والخريف والربيع والصيف : « نحن اخوتك » . ولكن رندا ظلت خاضعة للحزن الغريب القاسي الذي لم تعرفه من قبل .

- ٣٥ -

امسكت رندا قلمها الرصاصي ، واوشكت ان تكتب ما تعرف من حروف على ورقة بيضاء ، فقالت الورقة البيضاء لها :

« اتركيني بيضاء » .

قالت رندا متسائلة بتعجب : « ما هذا الطلب الغريب ؟ » .

قال القلم الرصاصي : « لا داعي الى سؤالها ،
وسأكتب ما اشاء ولن تستطيع ان ترفض » .

قالت الورقة البيضاء : « انا لا اتحدث مع قلم
مجنون مثلك » .

قال القلم الرصاصي : « جاء حتما آخر الزمان وعشت
حتى سمعت ورقة تافهة تسخر مني وتتهمني بالجنون » .

قالت الورقة البيضاء : « انا تافهة ؟! أتسبني ايها القلم
المصنوع من خشب عتيق ؟! » .

قال القلم الرصاصي : « وانت ؟! هل انت مصنوعة من
ذهب وفضة ؟! » .

قالت رندا بصوت مفعم بالنسائم : « يا لكما من
ثرثارين ! » .

ورمت القلم الرصاصي فوق الورقة البيضاء التي
صاحت محتجة : « اتجرؤ على ضربي ؟! سأشكوك الى من
يعرف كيف يؤدبك » .

قال القلم الرصاصي : « ومن يكون ذلك القادر على
تأديبي ؟! » .

قالت الورقة البيضاء : « انسيت صديقتي المبراة ؟
سأجعلها تاكلك دون رحمة » .

قال القلم الرصاصي بذعر وعتاب : « نحن نتناقش
نقاشا وديا فلماذا الفضب والتهديد ؟! اهكذا تعاملين
اصدقاءك وتتناسين الاشهر الجميلة التي عشناها معا ؟! » .

قالت الورقة البيضاء : « اذا اردت الا تثير غضبي
فلا تتدخل في شؤوني الخاصة » .

فصمت القلم الرصاصي ، فعاودت رندا امساكه ،
وقالت للورقة البيضاء بفضول : « لماذا لا تريد ان اكتب
عليك » .

قالت الورقة البيضاء : « كانت امنيتي طول حياتي ان
اصبح سائحة تتجول في انحاء العالم » .

قالت رندا : « وكيف استطيع تحقيق امنيتك ؟! انها امنية
مستحيلة » .

قالت الورقة البيضاء : « لا لا .. انها امنية تستطيعين
تنفيذها بسهولة . انا اذا صرت رسالة ذاهبة الى بلد بعيد
فسيتاح لي الطواف في بلدان كثيرة وركوب السيارات
والطائرات » .

قالت رندا : « تفكيرك سليم ، ولكنك نسيت اني لم
اتعلم بعد كتابة كلمات تكفي لرسالة » .

قالت الورقة البيضاء : « انتظرت كثيرا وباستطاعتي
تحمل المزيد من الانتظار اذا وعدتني بأن تحاولي تعلم كلمات
جديدة بسرعة » .

فوعدتها رندا ان تبذل جهدا كي تحفظ بسرعة المزيد
من الكلمات ، ولكنها بعد ايام عندما عادت الى غرفتها
لم تجد الورقة البيضاء على سطح الطاولة ، والفت
النافذة مفتوحة يدخل منها هواء قوي ، فاحست بالأسف
لان الورقة البيضاء لم تصبر ، ورحلت وحدها ، ودون ان
تودعها .

- ٣٦ -

تسير رندا ليلا وهي تمسك يد امها ، وكانت بين

الفينة والفينة تنظر الى اعلى ، فتجد القمر فوقها حتى
اقتنعت ان القمر يتبعها .

ولما اخبرت امها بما يفعله القمر ، قالت الام : « لا تكوني
مفرورة ، وانت مخطئة اذا ظننت ان القمر يتبعك » .

فرمقت رندا امها بزهو ، وهي واثقة بان القمر لا بد
من انه يحب امها اعظم الحب ولا يستطيع الابتعاد عنها
في الليالي التي يبزغ فيها .

- ٣٧ -

قالت رندا لامها بلهجة متذمرة : « سئمت القعود في
البيت » .

قالت الام : « سنزور جدك . ما رأيك ؟ » .

وما ان تخيلت رندا الباحة الفسيحة للبيت الذي
يسكنه جدها ، حتى سارعت الى الترحيب باقتراح امها ،
ولكن الام قالت لرندا : « يجب ان تعاهديني اولا على ان
تقبلي يد جدك حين ترينه » .

فتمتعت رندا بكلمات غير مفهومة ، فقالت امها : « لن
أخذك معي اذا ظللت عنيدة كعادتك تأبين تقبيل يده » .

فكرت رندا قليلا ثم قالت منكسة الرأس : « سأقبل
يده » .

وذهبت رندا مع امها الى بيت جدها ، وما ان شاهدت
جدها حتى خفق قلبها حبا له ، ولكنها ظلت متجمدة ،
فقالت لها امها هامسة بلهجة معاتبة : « اذن كذبت علي ؟!
الا تحبين جدك ؟ » .

١١٤

قالت رندا : « انا احبه ولكني لن اقبل يده » .
فابتسمت الام ابتسامة مرة ، وتذكرت ايام كانت طفلة
تتكلم كما تتكلم ابنتها ثم صارت الطفلة امرأة تحني
راسها وتقبل الايدي ، ورغبت في ان تعانق رندا ، وتقول
لها : « اياك وان تقبلي يد احد » .

ولكن الام لم تتحرك وظلت واقفة تحديق بحلق الى
رندا التي كانت تركض في باحة البيت مقلدة اصوات قطار
سريع لا يقف في اي محطة .

- ٣٨ -

كانت رندا لحظة تلتصق اذنها بالارض ، تسمع
اصواتا عذبة تنشد اغنيات جميلة بلغة مجهولة غامضة .

وفي احد الايام كانت رندا ملتصقة بالارض ،
فشاهدتها امها ، وقالت لها متسائلة بفضول : « ماذا
تفعلين ؟ » .

قالت رندا : « اني اسمع » .

قالت الام : « ماذا تسمعين ؟ » .

قالت رندا : « اسمع غناء جميلا » .

قالت الام مدهوشة : « ما هذا الحكي الابله ؟ هل
تريدين ان يقول الناس ان رندا مجنونة ؟! الارض مجرد
تراب وحجارة » .

وفي الايام التالية لم تعد رندا تسمع اصواتا عذبة
تفني منبثقة من جوف الارض ، وصارت الارض ترابا
وحجارة فقط .

١١٥

لم تستطع رندا الواقفة في شارع اغماض عينها او الصراخ او الانتحاب ، انما اكتفت بان ترتجف كورقة صفراء تواجه بعناد ريحا شديدة تحاول اجبارها على التخلي عن شجرتها . واستمرت تحرق الى الرجل الذي انقض على امرأة جميلة تولول ، ورمها ارضا ، وشهر سكينها ، واهوى بها على عنق المرأة وهو يطلق صرخة مديدة خشنة كأن السكين تطعن قلبه . ثم نهض واقفا ملطخ اليدين والثياب بالدم ، وقذف بالسكين بعيدا بجركمة ازدراء ، و اشار بيده الى المرأة القتيل ، وقال للناس بفخر : « هذه اختي ، وانا الذي ذبحها وغسل عاره » .

عندئذ اختفت رندا .

الاغتيال

- ١ -

ولجت حديقة الاشجار العارية الاغصان ، وهناك رايت حبيبتي نائمة ، فقلت لها : « استيقظي ، فقد آن لنا الرجوع الى بيتنا ، واذا وجدناه مهتما فسابني بدلا منه بيتا من حجر ابيض وازرع حوله الورد الاحمر والاصفر » .

وقلت لها : « سأطرق ابواب مملكة النوم بقبضة شحاذ » .
وقلت لها : « لن ارحل وحدي وسأنتظرك » .
فقبل لي ان حبيبتي ميتة وليست نائمة ، فسألت مرعوبا : « وكيف ماتت ؟ »

فقبل لي انها قد قتلت ، فسألت وقد تزايد رعبى :
« ومن قتلها ؟ » .
فقبل لي : « أنت قاتلها » .

فاختبأت في جسد حبيبتي ، واغمضت عيني ، واستسلمت للنوم تغمرنى الطمانينة ، واستمر نومي يوما او

سنة او مئة سنة ثم استيقظت على اصوات خشنة تقول لي :
« ابتعد فقد تم حفر قبرها وآن دفنها » .

فصرخت مستغيثا مناديا حبيبتي ولكنها ظلت دونما
حرك ، فتذكرت وانا متشبث بلحمها البارد عصفورا صغيرا
ابيض رايته يوما ينطنط من غصن الى غصن فرحا بضياء
الشمس ، ولكن العصفور مات ، وماتت الاغصان ، وماتت
الشمس .

- ٢ -

يطاردني رجال لا اعرفهم ، فاخترت في جسد حبيبتي ،
ولكن الرجال يجيئون سريعا قساة غاضبين ، ويقتحمون غرفة
حبيبتي ، ويبحثون عني ، فلا يستطيعون العثور علي ،
فتتجهم وجوههم ، ويهمون بالذهاب ، غير ان احدهم يقول
فجأة لحبيبتي : « اخلمي ثيابك » .
فتقول له بدهشة واستنكار : « استح » .
فيقول لها هادئا صارما : « نريد التفتيش بدقة » .

فتخلع حبيبتي ثيابها بنزق ، وتقف جسدا عاريا
متحديا ، فيتحسس الرجل لحمها ، ثم يرميها أرضا بحركة
مباغثة شرسة . واسمعتها تشهق مرتعدة ، وتقول بصوت
خفيض : « انت تؤلمني » .

فيزداد الرجل توغلا في جسدها ، ويصطدم بي ، فلا
يدهش ، انما يقول لي بصوت فظ متهدج : « اخرج والا اطلقنا
النار عليك » .

فأخضع لامره ، ولكنه يظل متابعا بحشه عني ، ثم يتلوه

بقية الرجال ، فأصرخ محتجا ، فيطلب مني السكوت ،
فأطيع ، وأراقب ما يجري بعيني ميت .

- ٣ -

حبيبتي المستلقية على سريرى وردة بيضاء ، وصوتها
الماء يركض مرحا في الحقول الخضراء .

قالت : « انا الآن سمكة » .

قالت : « أرغب في قراءة قصة حب » .

قالت : « اكره امي وابي » .

قالت : « احب امي وابي » .

قالت : « لن احب أحدا » .

ولما جاء الليل ، عانقتني بحنان اخت وقبلت خدي ،
وعادت الى بيت اهلها ، فخوى السرير ، وشعرت بالخوف ،
فاختبأت تحت اللحاف محاولا النوم ، ولكن سكيننا مرهفة
النصل اقبلت ، وبترت اصابع يدي ، فبكيت ، وقلت : « لن
استطيع لمس قطعة » .

وراقبت بعينين مفتوحتين مغممتين بالكراهية والشفقة
دمي الذي كان ينزف رويدا رويدا ليتركني باردا فمارغ
الشرابين .

قال الصياد متسائلا بفرح : « اتقول الصدق ام ما زلت تمزح ؟! » .

فاجبت دون تردد : « سؤالك ساذج ، فما الذي يرغمني على الكذب ؟! » .

قلم يفه الصياد بكلمة ، وحملني الى بيته وهو يلث متعبا ، وهناك تولت زوجه تقطيعي بالسكين الى قطع مختلفة الحجم ، ووضعتها في مقلاة ملأى بزيت يفلي ، فلم أصرخ متوجعا أو مستغيثا ، وبقيت في المقلاة حتى نضجت ، عندئذ ابتدا اولاد الصياد يأكلونني بنهم ، فقمرتني البهجة ، ولكنني حزنت بعد قليل لان الاولاد قالوا بتذمر وسخط ان لحمي سيء الطعم على الرغم من انهم استمروا في أكلي .

وازداد حزني عندما تنبعت الى اني في يوم تال لا بد عائد الى جوف الارض ، وسأضطر آنذاك الى العيش في الاماكن المظلمة القذرة حتى يتاح لي يوما رؤية الشمس في جذور شجرة أو وردة .

الفريسة

احترقت الفمامة والموسيقى والورد ودمى الاطفال ، فلم أجد مكانا اختبئ فيه سوى نهر كثير المياه ، وهناك عشت طوال سنوات وحيدا مستسلما لطمأنينة غامضة ، حتى جاء في احد الايام صياد هرم ، فانتشلني بسنارته من قاع النهر ، وحدثني باستغراب واسف ، وقال : « ظننت انك سمكة » .

فقلت له متصنعا المرح : « لا تخطيء فالانسان افضل واروع من السمكة » .

فنظر الى الشمس الأفلة بعينين مجهدتين ، وقال : « مساكين اولادي ، سينامون الليلة دون ان يأكلوا » .

فأحيت رأسي بخجل ، ثم قلت له : « كيف صدقت ما قلته لك ؟ كنت أمزح فأنا سمكة » .

قال الصياد : « ولكن الاسماك لا تتكلم » .

قلت بصوت متهدج : « انسييت ان البحر غني واسماكه متنوعة ؟ أنا سمكة من نوع غريب ، تتكلم وتشبه الانسان » .

فابتسم العجوز ابتسامة مزهوة مأكرة ، ورمى الطالبة
بقوة على الارض ، فتواثبت وحدها مرات عديدة ، وبدت
كعصفور طائش ينطنط مرحا .

نهض رجل ذو لحية بيضاء طويلة ، وصاح بصوت
متهدج غاضب : « الدين يا مولاي في خطر » .

وأشار بسبابته الى الطالبة صارخا : « ابليس مختبئ
في جوفها وهو الذي يحركها » .

فتعالت توا أصوات الوزراء والاعوان مؤيدة ، لاعنة
ابليس ، وحملت الاعين الى الطالبة التي استقرت على الارض
دون حركة .

الشتاء

أعلن صناع السرر الاضراب عن العمل مطالبين بزيادة
اجورهم .

وحين نمي النبا الى الملك ، لم يفضب انما ابشيم
بحنو ، وقال متسائلا : « من اي شيء تصنع السرر ؟ » .

ف قيل له بأنها تصنع من خشب الاشجار ، فابتسم
الملك ثانية ، وأمر الاشجار بأن تنبت سررا ، غير انها لم تقطع
الامر الملكي ، فاستاء الملك ، وحكم على الاشجار بالموت
عطشا .

وفرح الملك اشد الفرح اذ ألقى الاشجار موشكة على
الهلاك اثر منع الماء عنها ، ولكن فرحه ما لبث أن توارى
يوم اقبل الشتاء .

الملك

الخطر

حذق مولانا الملك الى الرجل العجوز النحيف المتقوس
الظهر ، وقال له : « قيل انك عالم تطمح الى أن تعرض على
انظاونا ما اخترعت ، فهات ما عندك » .

قال الرجل العجوز بصوت هاديء لا يخلو من فرح
خفي : « سأعرض على مولاي أفضل ما اخترعت » .
وأخرج من جيبه كرة زرقاء اللون ، وقال فخورا : « هذا
هو اختراعي » .

قال الملك بفضول : « ما هذا ؟ » .

قال العجوز : « كرة من المطاط مجوفة وقد اطلقت
عليها اسم الطابة » .

قال الملك متسائلا : « وما الفائدة منها ؟ » .

قال العجوز : « انا اخترعتها كي يلعب بها الاطفال » .

فقطب الملك جبينه ، وقال : « وكيف سيلعب بها

الاطفال ؟ » .

السجون الخاوية

حظي المدير العام للسجون الملكية بقاء مولانا الملك ،
وانباه بصوت خاشع ان السجون امتلأت بالسجناء ولم تعد
تسع لمزيد ، ورجا بناء سجون جديدة .
غضب الملك ، وصاح : « ماذا تقول ؟ الا تعلم ان بناء
سجون جديدة يحتاج الى اموال طائلة ؟ وهل نسيت ان ما
بحوزتي من اموال لا يجوز انفاقها الا في سبيل صالح
الرعية ؟ » .

فتمتم المدير العام بصوت ضارع : « مولاي ... » .
فقاطعه الملك صارخا بنزق : « أسكت » .
سكت المدير العام للسجون الملكية ، وسكت اهل
المملكة ، وانتظروا ما سيحدث مرتعشين لهفة وذعرا .
قال الملك : « الملك ائصال لا يحق له تبديد مال
الرعية » .

واضاف موجها السؤال الى المدير العام : « هل يأكل
السجناء كل يوم ؟ » .
- « مرة واحدة فقط » .
- « ومن يدفع ثمن طعامهم ؟ الرعية طبعاً . هذا تبذير
لمال الرعية وخطأ ينبغي اصلاحه فوراً » .
ونفذ في الحال الامر الملكي ، فاعدم السجناء كافة ،
 واصبحت بعدئذ السجون الملكية خاوية تسع لسجناء جدد .

حين يسكر الفقراء

استولى الضجر على الملك ، فتنكر في ثياب الفقراء ،
وانطلق يجوب في طرقات المدينة ، حتى بلغ الازقة التي

يحيا فيها الفقراء ، وهناك استرعى انتباهه ناس يتحلقون
حول رجل سكير يرتدي ملابس عتيقة مهترئة ، ويترنح
بمنة ويسرة وهو يصيح : « انا الملك ، فمن له مطلب يرجو
الفوز به فليتقدم ويتكلم » .

فدنا من السكير كهل وضع يديه على بطنه ، وقال
بلهجة متباكية : « سأموت جوعاً ولا أملك ما أشتري به
رغيف خبز » .

فخلع السكير فردة حذائه ، وقدمها للكهل وهو
يقول : « خذ .. ها انذا أمنحك نصف مملكتي » .
فضج الناس بالضحك . ورجع الملك الى القصر وقد
فارقه ضجره ، واصدر امراً يحظر على الفقراء شرب الخمرة .

الاقتصار

تنبه الملك يوما الى ان ما في خزائنه من ذهب وفضة
قد تناقص ، فاعتم ، وطلب من وزيره النصح ، فقال الوزير
دون تفكير : « سنفرض ضريبة جديدة » .

فهز الملك رأسه موافقا ، وكلف وزيره بتنفيذ ما اقترح .
وابتدا الجباة يطوفون في المدن والقرى وبرقتهم
رجال الشرطة ، يرغمون الناس على دفع الضريبة الجديدة ،
ومن لا يدفع ، يهان ويضرب ويسجن .

واتى يوم نفذ فيه صبر الناس ، وانفجر غضبهم ،
فساروا في حشد ضخم قاصدين القصر الملكي واصواتهم
تصعد قوية ساخطة على الظلم .

ولما علم الملك بما حدث ، سمح لوفد يمثل المتظاهرين
بمقابلته ، وانصت باهتمام لما قاله اعضاء الوفد من كلام كتيب

مؤثر عن الجوع والسجون والضريبة والوزير الظالم ،
وأعرب عن دهشته واستنكاره لما سمع ، وقال بصوت متهدج
خجل : « كيف سألقى ربي يوم القيامة ؟ اتظلم رعيتي دون
أن أعلم .. أنا الذي كرس حياته لخدمة المعوزين والمساكين
واليتامى والأرامل ؟! » .

ونفض واقفا ، وأعلن بصوت صارم طرد الوزير من
منصبه ومصادرة ما يملك من قصور وأموال عقابا له على
جوره واحتراما لارادة الرعية .

غادر الوفد القصر الملكي ، وأبلغ الناس الناقمين بما
جرى ، فتصاحبوا فرحين شاكرين للملك مؤازرتهم للعدل
والحق ، غير أن الجباة في اليوم التالي تابعوا طوافهم على
البيوت والدكاكين .

مغامرتي الأخيرة

مشيت كثيرا . وعندما تعبت ، دخلت مطعما ،
وتصنعت البحث عن صديق ، وكانت المناضد مثقلة بصحون
الطعام ، ومحاطة بأقواه دائبة الحركة .

سألت الجرسون بصوت متعجرف : « ألم يأت
الاستاذ أمجد ؟ » .

قال الجرسون : « أمجد ؟! .. » .

قلت : « أمجد العباس . لا بد أنك تعرفه . هو مدير
بنك . يتغدى لديكم كل يوم » .

تردد الجرسون ، ولكن تردده لم يستمر سوى لحظة
خاطفة ثم تحول الى فخر واعتداد بالمطعم الذي يعمل فيه
ويؤمه مدراء بنوك للغداء ، فقال : « لم يأت بعد . لا بد أنه
سيأتي بعد قليل » .

نظرت الى ساعة معصمي ، وقلت : « لا لا . ما دام
لم يأت حتى الآن فلا بد أنه اضطر لحضور اجتماع
طارئ » .

وغادرت المطعم بخطى متمهلة وأنا أقول لمعدتي بقسوة :
« اياك والتفوه بكلمة تذر واحدة ، فانا لم أرغمك على أن
تكوني معدتي » .
أقلت معدتي : « ارحم من في الارض يرحمك من في
السماء » .

تذكرت في تلك اللحظة السماء التي نسيتها منذ ايام ،
فنظرت اليها ، وكانت زرقاء صافية ، فتخيلت توا امرأة
شعرها أزرق وعيناها خضراوان ولحمها أسود ووردة
حمراء تزين شعرها .

صاحت معدتي : « ما ألد اللحم المشوي ! » .

فبادرت الى تأنيبها ، وحضضتها على التقشف ،
واتجهت نحو بقالية صغيرة ، وكان صاحبها رجل عجوز ،
فطلبت منه بيعة بيضتين ، ورجوته أن يختارهما كبيرتي
الحجم ، فقال لي وهو يتسلم ثمنهما من يدي : « ستأخذ
بيضتين لا مثيل لهما » .

ثم اضاف متسائلا بلهجة لم أعرف ما اذا كانت جادة
أم ساخرة : « هل اضعهما في كيس ؟! » .
قلت : « لا .. لا .. » .

وتناولت البيضتين ، ووضعت واحدة في جيبى
اليمين ، والثانية في جيبى اليسار ، وسرت نحو البيت فرحا
بهما ، ولم تكف أصابعي عن لمسهما بحنو .

وما أن دخلت البيت حتى هرعت الى المطبخ ، واحضرت
صحنا ، وأمسكت بكل يد بيضة ثم ضربت الواحدة بالآخرى ،
فكسرت واحدة منهما ، وخرج من جوفها ما يشبه صوصا

أبيض اللون ، فقلت بنزق : « غشني البائع . سالعن اجداده
جدا جدا » .

وتجمدت مذهولا اذ ابتدا ما خيل الي انه صوص يكبر
حتى صار رجلا أبيض الثياب ، ذا جناحين ، قطفى على
الرعب ، وأقلت يدي البيضاء الثانية ، وسقطت أرضا ،
وتحطمت ، فرمقتها أسفا متحسرا ، فاذا هي ايضا يخرج
منها صوص أبيض ، وكبر بسرعة وصار كرفيقه رجلا ذا
جناحين ، فتصنعت الشجاعة ، وقلت : « ما هذا المزاح ؟!
من أنتما ؟! » .

قال أحد الرجلين : « أنا منكر .. » .

وأشار الى زميله ، وقال : « وهذا نكير » .

ثم أردف قائلا بثقة وزهو : « لا بد انك سمعت عنا
الكثير . نحن الملاكات اللذان نزور الميت في أول ليلة يقضيها
في القبر ونحاسبه على ما فعل عندما كان حيا » .

قلت : « لماذا جئتما الي ؟ أنا لست ميتا ، وهذا البيت
ليس قبرا ، وفي مطلع كل شهر ادفع لصاحبه اجرا يستنفد
معظم دخلي » .

فتبادل منكر ونكير النظرات الحائرة ، فازداد استيائي ،
وصححت بهما : « ألا تصدقان اني لست بميت ؟! اذا كنتما
لا تصدقان فاستخدم يدي للاقناع » .

قال منكر بصوت مضطرب : « لا تزعل . ما جرى مجرد
خطأ غير مقصود . ونحن نعتذر .. » .

قال نكير : « ونعتذر بحرارة » .

واتجه الاثنان نحو باب المطبخ ، فاعترضت طريقتهما
متسائلا بغيظ : « الى أين ؟ » .

قال منكر : « هناك عمل كثير بانتظارنا » .
قلت : « وئمن البيضتين التالفتين من سيدفعه ؟! » .
قال منكر : « نحن نرغب في اصلاح الخطأ ولكن ... »
فقلت مقاطعا : « المسألة بسيطة . ادفعنا لي ثمن
البيضتين » .

قال منكر رافعا ذراعيه الى اعلى : « فتشنا . جيوبنا
فارغة تماما » .

قلت : « اذن لن ادعكما تخرجان . هل سأظل دون
طعام بسبب خطأ لست مسؤولا عنه ولا علاقة لي به ؟! » .
قال نكير : « كن عاقلا . لا مال معنا » .

قال منكر : « ولكننا حين نحاسبك يوم تموت سنتقاضى
عن عدد لا بأس به من سيئاتك » .

ففكرت قليلا ، ثم قلت لهما : « وعد رجال ؟! » .
فاصطفقت اجنحتهما وكأنها تحتج ، فسارعت الى
القول : « أقصد وعد ملائكة » .

فهزا رأسيهما بالايجاب وهما يتسلمان ، فابتعدت
أثد عن الباب ، وسمحت لهما بالخروج .

وما أن أصبحت وحيدا حتى عاودني القضب
والاحساس بأني قد خدعت ، فقلت بصوت مرتفع مهدد :
« سألعن أبا ذلك البقال الفشاش المحتال ! سأذهب اليه
وأهدم دكانه فوق رأسه » .

وغادرت البيت راكضا نحو دكان البقال العجوز ، ولما
بلغتها وجدت ناسا كثيرين متجمعين عند بابها ، يحدقون الى
البقال الذي كان مستلقيا على الارض مغمض العينين دونما
حرك .

فسألت واحدا من المتفرجين : « ما به ؟ » .
فقال : « كان المسكين واقفا يضحك . وفجأة وقع
على الارض ومات » .

فاضطربت واحترت ولم أعلم ماذا أفعل . وبعد لحظات
جاءت سيارة اسعاف بيضاء اللون ، ووقفت بالقرب من
دكان البقال ، ونزل منها سائقها وبصحبه ممرض بشياب
بيض ، وفتحا الباب الخلفي للسيارة ، وأخرجا منها نقالة ،
وصرخا مطالبين الناس بالابتعاد ، فتفرق الناس قليلا .
عندئذ وضع السائق والممرض النقالة على الارض ، وحملا
البقال وهما يتحادثان يهرح ، وألقيا به على النقالة ، ثم
انحنيا وحملا النقالة وسارا نحو السيارة ، فاندفعت اليهما
صارخا وقد تذكرت ما حلّ بي : « لن أسمح لكما بأخذه » .

فقال لي الممرض : « هس . لا داعي الى التولولة . اذا
كنت قريبه فرافقه » .

ودفعنا النقالة بحركة سريعة الى جوف السيارة ،
وصعدا الى مكانيهما في مقدمة السيارة ، فلم أجد مفرا من
أن أقفز الى داخل السيارة .

وسارت السيارة بسرعة ، وبوقها يطلق صوتا يشق لها
طريقا سهلا وسط الشوارع المزدحمة بالناس والسيارات .

لكزت البقال العجوز ، وقلت له : « يا محتال ..
يا نصاب ! أتبيعني بيضا مغشوشا ؟ ألا تخجل ؟ » .

لم يجابو البقال ، فقلت له : « أنا أعرف أنك تصنعت
الموت لتهرب مني ولكنك جهلت في يد من وقعت . أنت
مسكين . اسمع . لن اتركك حتى ولو اضطررت الى النزول

معك الى القبر . ادفع لي ثمن البيضتين دون لف ودوران
والا نتفت شعر لحيتك شعرة شعرة » .

عندئذ فتح البقال عينيه ، وقال لي بفيظ : « أنت فعلا
ولد محروم من التربية العائلية المحترمة . اهكذا تكلم الموتى ؟
للموت حرمة ويجب ان تراعى » .

قلت له : « تابع وعظك تابع . انا لا استجدي ولا اطلب
صدقة . انا اطلب بحقي » .

قال البقال : « طالب بما تشاء . اصرح ومزق ثيابك .
انا ميت . واذا تنبه السائق والمرضى الى انك تحدثني
اخذك فورا الى مستشفى المجانين » .

قلت : « اريد حقي ولن اتنازل عنه ولو حدث زلزال » .
فأغمض البقال عينيه ، وقال : « تكلم كما تشاء .
انا ميت والموتى لا يتكلمون » .

فشتمته فترة طويلة ، ولكنه لم يابه لي ، وظل صامتا
اصفر اللحم ، فاضطرت الى السكوت حين يح صوتي .

وتنبهت الى اني موشك على الاختناق ، فالسيارة
ضيقة وسقفها منخفض ، وكنت أتنفس بصعوبة ، ودهشت
لان السيارة لم تبلغ المستشفى على الرغم من انها سارت
مسافة طويلة جدا .

صرخت بالسائق والمرضى طالبا منهما ايقاف السيارة،
ولكنهما لم يلتفتا اليّ ، وظلت السيارة تجتاز الشارع تلو
الشارع وهي تسير بأقصى سرعة ، قفحت بابها مزمعا أن
اقذف بجسدي منها ، ولكني جيت ، ووجدت نفسي بعد
قليل اسحب البقال عن النقالة ، فلا يقاوم ، وأطوح به الى
خارج السيارة ، ثم استلقي على النقالة وانا اتهد بارتياح ،

وأحسست بالغضب والاعياء يزولان عني رويدا رويدا ،
ولم البث ان استسلمت للنوم بينما السيارة لا تزال منطلقة
في الشوارع مطلقة من بوقها ولولة مستمرة .

ولما افقت من نومي بعد زمن ما ، فوجئت بأني في مكان
مظلم ، فحاولت النهوض ، فأخفقت محاولتي .

وفجأة سطع نور قوي منبعث من مصباح كهربائي
مسدد نحوي . وسمعت صوتا هائلا يقول لي : « ها نحن
ذا قد تلاقينا بسرعة » .

وخيل اليّ اني قد سمعت ذلك الصوت من قبل .
وسمعت صوتا ثانيا يقول : « انها فرصة جميلة تتاح لنا
لنرحب به ترحيبا ينسيه أمه » .

فاشتد تعجبي لان الصوت الثاني سبق لي ايضا ان
سمعتنه .

قال صاحب الصوت الاول : « يبدو انه ضعيف
الذاكرة ونسينا ! » .

وسمعت وقع أقدام ، واقترب مني صاحبا الصوتين ،
فاذا هما منكر ونكير ، وكانا يحملان سباطا وثيابهما سود ،
وأعينهما صارمة قاسية .

أردت الكلام ، فأخفقت . قال منكر : « اتعرف ماذا
سنفعل بك ؟! سنظل نضربك حتى نمزق لحمك قطعاً صغيرة
تحيا فيها الديدان وتأكلك على مهل وما يتبقى منك ستأتي
الجرذان وتلتهمه » .

حاولت التكلم وتذكيرهما بوعدهما ، فلم استطع ،
وقد لاحظا محاولتي ، فضحكا ببهجة ، وأدنى منكر يده
المطبقة الاصابع من نور المصباح ، وفتحها ، فتدلت منها

فهرست

ص	الاعداء
٥	يوسف .. يوسف الصغير الجميل الهالك
٢٠	الزهرة
٢٩	في ليلة من الليالي
٣٢	الفندق
٤٧	النمور في اليوم العاشر
٥٤	ما حدث في المدينة التي كانت نائمة
٥٩	السهرة
٦٧	لا غيمة للأشجار ولا أجنحة فوق الجبل
٧٨	الابتسامة
٨١	ملخص ما جرى لمحمد الحمودي
٨٣	رندا
٨٧	الاغتيال
١١٧	الفريسة
٧٢٠	الملك
١٢٢	مغامرتي الاخيرة
١٢٧	

قطعة لحم تقطر دماً ، وقال لي : « عرفت ما هذه ؟! انها لسانك وقد قطعناه كي لا تثرثر ويصاب راسانا بالصداع » .

فأغمضت عيني ، وغرزت اظفاري في التراب ، وتعالى صراخي متحشرجا مستغيثا ، فلم يأبه لي منكر ونكير ، وقدموا الي اوراقا كثيرة قائلين : « هذه الاوراق مكتوبة بخطك وتتضمن اقرارك بكل ما فعلته من سيئات ، فهيها وقعها والا ... » .

فبادرت الى توقيعها دونما تردد ، وانتظرت الشياطين برعب ، ولكن ضوء المصباح انطفأ فجأة ، وساد الصمت ، ولما تعودت عيناى الظلمة اكتشفت ان منكرا ونكيرا قد اختفيا فابتهجت ، ولكنى بعد حين شعرت بالوحشة اتى حد انسى اجهشت بالبكاء بصوت عال ، ثم اضطررت الى السكوت خجلا لما تناهت الى سمعي اصوات مدمرة تطالب بحقوقها في الراحة بعد الموت .

وبعد ايام زارني جرد جائع ، واتفقنا معا على ان يأكل ساقى اليمنى لقاء ان يحضر لي راديو ترانزستور .

ولقد نفذ الجرد الاتفاق ، واتيح لي ان أستمع الى الاغاني ونشرات الاخبار بينما كان الجرد يأكل ساقى متمهلا ويتلمظ بتلذذ قائلا لي بين الفينة والفينة انه لم يخدع .

وبعد ايام اخرى ، ابتدأت افكر في صفقة ثانية اتخلى فيها عن ساقى اليسرى لقاء الحصول على تلفزيون صغير .